روايات محظورة

Banned Novels

د/ محمد عزب

أستاذ الأدب الانجليزى بجامعة الملك سعود





روايات محظورة

Banned Novels

روايات محظورة

Banned Novels



الطبعة الأولى

1431هـ ــ 2010م

رقم الإيداع

2010/3847 م

الترقيم الدولي

I.S.B.N: 978 - 977 - 6326 - 73 - 6



الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: 610 ر.ب: 21111 - 31 ش الصالحي - محطة

مصر - الإسكندرية

روايات محظورة

Banned Novels

دكتور/ محمد عزب

أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الملك سعود



أكسروا الأقلام هل تكسيرها

يمنع الأيدي أن تنقش صخرًا؟

أقطعوا الأيدي هل تقطيعها

يمنع الأعين أن تنظر شزرًا؟

أطفئوا الأعين هل إطفاؤها

يمنع الأنفاس أن تصعد زفرًا؟

خليل جبران 1909

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن للرقابة كما هو معلوم أشكال عديدة فهناك الرقابة على الكتب والمطبوعات والصحف والمجلات وهناك الرقابة على المصنفات الفنية والأفلام السينمائية كما طال مقص الرقيب بعض مواقع الشبكة الدولية للمعلومات.

وانقسم الناس فيما يتعلق بهذه القضية الهامة فهناك من يرى أن الرقابة حتمية لحماية الأطفال وضعاف النفوس من الأفكار المتطرفة لاسيما بعد أن امتلأت الفضائيات بالمواقع الإباحية والبذاءات الجنسية كما ساهم العنف الذي قدمته ألعاب الكمبيوتر والفيديو بتلويث عقول الأطفال حتى دفعهم التقليد الأعمى إلى ارتكاب جرائم متنوعة وصلت إلى حد القتل.

من ناحية أخرى يرى بعض الناس أن الرقابة تمثل تقييدًا لحرية الفكر وأن الإنسان عدو مايجهله كما يرون أن نظرية الأخ الأكبر والدولة البوليسية وأجهزة التصنت ومحاكم التفتيش وزوار الفجر والتعتيم الإعلامي قد تحطمت تحت أقدام الانفتاح الاقتصادي والقرية الكونية والكتب الإلكترونية وفنون الجرافيتي التي فضحت القمع وحطمت أسوار العزلة.

إن قضية الرقابة بشكل عام والرقابة على الكتب بشكل خاص قضية شائكة يزداد تعقيدها كل يوم بين مؤيد ومؤسسات حكومية تنظر إليها كقضية سيادية وأمن دولة ومعارض يرى أنه لاحجر ولا وصاية على فكر.

معلوم للجميع أن بعض القضايا لايجدي معها الحل الوسط وقد يظن البعض أن قضية الرقابة واحدة من هذه القضايا لكن تفاقم الأزمة الفكرية تدعونا إلى المحاولة. المهم هو النية الصادقة ومصلحة الوطن. فلا نحرم المواطن من المعرفة ولا نعطيه أفكارًا سامة أو شيء ضد المصلحة القومية وهو التعريف الأمثل للرقابة الواعية الراشدة.

خذ مثلًا قضية الكتب التي لاتناسب النشء. هناك بعض الأصوات التي تنادي بتصنيف الكتب تمامًا كالأفلام السينيمائية فهذا كتاب «للكبار فقط» وذاك كتاب لما هو دون العشرين وهكذا لا يعدم المجد الحيلة.

المواجهة والمناقشة والحوار هم السبيل للوصول إلى الحلول المجدية. العرض لا التعريض والمناعة لا المنع هو دور الإعلام الناجح في هذه القضية.

يرى المؤيدون لنظرية الرقابة الواعية ضرورة التصدي للأفكار التي تثير الغرائز الجنسية وتلك التي تتطاول على الرموز الدينية أو التابوهات الاجتماعية أو السيادة القومية. وفيما يلي بعض الحقائق التي لابد أن نقربها:

❁ لا توجد دولة لا تواجه فيها الكتب تحديات بشكل أو بآخر ولكل دولة ظروفها الخاصة. الرقابة موجودة في كل مكان. وحتى اتفاقية برن عام 1886 لحماية الملكية الفكرية والحقوق الأدبية قد نصت في المادة (17) منها على أن نصوص الاتفاقية لا تمنع حكومة دولة أن تمنع تداول عمل ما ترى من الضروري منعه.

❁ لايوجد منع تام بمعنى أنه لا تتفق كل الدول والشعوب عليه في جميع الأوقات. خذ مثلًا رواية الكاتب الأمريكي إرنست هيمنجواي «لمن تقرع الأجراس» **For Whom the Bell Tolls**، لقد منعها فرانكو خلال حكمه لأسبانيا لأنها أيدت الجمهوريين خلال الحرب الأهلية الأسبانية ، لكنها لم تمنع في أي مكان آخر في العالم، والآن حتى الإسبان يتمتعون بقراءة هذه الرواية الكلاسيكية الجميلة.

❁ يجب أن نميز بين محاولة منع الكتب **Challenged** والمنع الفعلي للكتب. **Banned**

❁ يجب أن نعترف أن بعض الكتب تصدم الشعور الديني أو الذوق العام وأنه ليس من مصلحة أولادنا والأجيال القادمة ترويجها والأمثلة على ذلك كثيرة. ليس من الحرية الشخصية في شيء أن نسمح مثلًا بحرق علم الدولة أو التطاول على شخص رئيس الجمهورية أو أن نتعدى الخطوط الحمراء لنفتش في كل ما يحمل سري للغاية.

تاريخ منع وحظر ومصادرة وحرق الكتب حافل وزاخر بالأمثلة لكن دعونا نتطرق إلى شتات من هذا السجل:

عام 450 قبل الميلاد تم حرق مؤلفات فيثاغورث وطرده من اليونان لأنه قال أنه لايعرف إذا كانت الآلهة تتواجد من عدمه كما نادى بأن القمر يعكس أشعة الشمس؟!

عام 8 بعد الميلاد نفى الإمبراطور أوجستوس الشاعر أوفد Ovid من روما وتم حرق كتابه «فن العشق» **The Art of Love** مع كتب دانتي لما يوجهه من صفعة شديدة للأخلاق الحميدة.

عام 1404 ترجم جون ويكليف الإنجيل من اللاتينية إلى الإنجليزية ليتمكن القارئ العادي من قراءته لكن الكنيسة الكاثوليكية حظرت الترجمة.

أنهى ميكافيلي صاحب الكتاب المشهور «الأمير» كتابه عام 1514 والذي أهداه إلى عائلة ميديتشي ووضع فيه عبارته المشهورة (الغاية تبرر الوسيلة). قامت الكنيسة في روما بمنع الكاثوليك من قراءته كما يعتقد البروتستانت أن هذا الكتاب قد تسبب في قتل 50 ألف فرنسي في مذبحة 1572 على يد الكاثوليك.

في عام 1553 تم اضطرام النار في ميجيل سيرفيتيس وكتابه «استعادة المسيحية» **Christianity Restored** والتي نادى فيه بتنقية المسيحية من الفساد والمبادئ الوثنية كما نادى بإبطال طقوس تعميد الأطفال مبررًا ذلك بأن السيد المسيح لم يعمد إلا وهو شاب يافع.

عام 1450 تم اختراع الطباعة وفي عام 1559 أصدر البابا بول الرابع قائمة بالكتب الممنوعة **Index Lirorum Prohibtorum** وجاء على رأس القائمة كتب مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي وظل الفاتيكان يجري تحديثات على القائمة حتى عام 1948 واحتوت على 4126 كتاب ممنوعة للكاثوليك حتى قام بابا الفاتيكان عام 1966 بإلغاء هذه القائمة. لاحظ أن الأزهر الشريف لم يصدر (ينشر) مثل هذه القائمة.

عـام 1559 تـم إدراج حكايـات «ديكـامرون» للكاتـب الإيطالي جيوفاني بوكاشيو ضمن القائمة السالف ذكرها لأن 8 من قصصها البالغ عددها مائة والتي يرويها 10 مـن الرجال والنساء على مدى (10) أيام أمضوها في منطقة منعزلة هربًا مـن الطـاعون تحتوي على بذاءات جنسية وقطع وصفية ساخنة.

ظهر البيوريتانيون أو المتطهـرون Puritans في إنجلـترا عـام 1598 ونادوا بإغلاق مسرح الجلوب الذي شهد روائع شكسبير. نبذ أعضاء هذه الجماعة الأيقونـات الكاثوليكيـة والملابـس المزينـة والموسيقى ولعبوا دورًا كبيرًا خلال الحـرب الأهليـة التـي انتهـت بإعـدام الملـك تـشارلز الأول وإعـلان الجمهوريـة وتـولي اوليفـر كروميل الحكم. الانتكاسة الثانية للمسرح الإنجليزي جـاءت مـع تعيين جهاز رقابي رسمي على المـسرح وصـدور لائحـة للعـروض المـسرحية، فعمـل هـذا الجهـاز عـلى حظـر ومنـع العـشرات مـن المسرحيات حتى تم إلغاءه رسميًا عام 1968.

وفي فرنسا، مهد الحريـات الشخـصية، وعـلى رأسـها حريـة الرأي والتعبير، منع لويس الحادي عـشر إمبراطـور فرنـسا كتـاب «سـقوط القـدس» للـشاعر الإيطـالي تاسـو الـذي صـدر في 1581 الذي انتقص من السلطات الملكية وطعن في نظرية أن الملك

هو ظل الله على الأرض كما امتدح السلطان صلاح الدين. وبعد ثمانين سنة أمر لويس الرابع عشر بحرق كل نسخ كتاب «خطابات إقليمية» الذي دافع فيه الفيلسوف الشهير باسكال عن نظرية تقول أن «الإنسان مسيَّر وليس مخيرًا».

عام 1633 تم سجن عالم الفلك الشهير جاليليو بعد محاكمته بتهمة الشعوذة لأنه نادى بأن الشمس هي مركز العالم وأنها لا تتحرك من الشرق إلى الغرب بل إن الأرض هي التي تدور. أجبر جاليليو وهو في السبعين من عمره أن يجثو على ركبتيه ويتوب عما قاله وكتبه حتى جاء عام 1835 ليتم فيه فك الحظر المفروض على آرائه ومؤلفاته التي أثبت العلم الحديث صحتها ويسدل الستار عن القصة عام 1992 عندما أعلن البابا بول الثاني بعد مرور 359 سنة أن الأرض تدور حول الشمس وتقدم الكنيسة الكاثوليكية الاعتذار لجاليليو!

دفاعًا عن حرية الفكر والطبع نشر الشاعر الإنجليزي الشهير جون ميلتون عام 1644 مقالًا أسماه **Areopagitica** . العنوان له علاقة بجبل باليونان حيث اعتاد النخبة في غابر الزمن أن يتجمعوا لمناقشة الأمور السياسية والدينية في جو من ديموقراطية الحوار. جاء المقال ردًا على قرار البرلمان الإنجليزي

عام 1643 بعدم جواز نشر أي كتاب دون أخذ رخصة بذلك. وعادة ماكانت تأتي الموافقة من جامعة أكسفورد أو كامبردج وهو الدور الذي تفتقر إليه جامعات اليوم. بعد إعدام شارلز الأول ووصول أوليفر كرومويل إلى الحكم عام 1658 قام بمنع المقال بالرغم من أن ميلتون كان من المقربين لديه.

في عام 1774 خرجت رواية الكاتب الألماني جوته «أحزان فيرثر الصغير» إلى النور. ذكر نابليون أنه قرأ هذا الكتاب سبع مرات وهو حقًا جميل لكن حوادث الانتحار التي ارتكبها الشباب في ألمانيا وفرنسا والعثور على نسخ من الكتاب معهم جعلته يتعرض لحملة شرسة انتهت بمنعه.

في عام 1792 قدم توماس بينThomas Paine إلى المحاكمة في إنجلترا بعد نشرة كتاب «حقوق الإنسان» <u>The Rights of Man</u> وكتاب «عصر العقل» <u>The Age of Reason</u> والذي نادى فيه بمعرفة الله بالعقل لا بالوحي. اعتبر الكتاب هجومًا على المسيحية خاصة بعد أن خلع الكاتب عن المسيح عباءة الألوهية وتم نفي توماس بين إلى الولايات المتحدة فكان له دور محمود في إنشاء الجمهورية هناك.

عام 1821 تم منع كتاب «اعترافات» لكاتب الثورة الفرنسية جاك روسو. الكتاب كان قد أتمه روسو قبل وفاته عام 1778. تم حظر الكتاب بواسطة الكنيسة الكاثوليكية نظرًا لمحتواه الجنسي الفاضح. يتناول روسو في كتابه علاقاته الجنسية المتعددة وإدمانه ممارسة العادة السرية ومشاكل التبول التي صاحبته مع تقدمه في العمر وتضخم البروستاتا لديه !!!!!

عام 1859 ظهر كتاب «أصل المخلوقات» **On the Origin of Species** لعالم الطبيعة تشارلز دارون **Charles Darwin** والذي قدم فيه نظريته المثيرة للجدل حول أصل الإنسان ودرس فيها أنواع مختلفة من القرود وطبق عليها مبادئ النشوء والارتقاء والتطور. المهم منعت نظريته من التدريس في مدارس وجامعات مختلفة في شتى أرجاء المعمورة كما منعت يوغسلافيا السابقة الكتاب برمته عام 1935م.

في نفس العام 1859 استخدمت ماري آن إيفانز الاسم المستعار جورج إليوت لنشر روايتها «آدم بيد» التي أحدثت ضجة وصلت إلى ساحة القضاء في إنجلترا بسبب الخلاعة والمجون بالرواية.

عام 1848 ظهر كتاب «بيان الحزب الشيوعي» لكارل ماركس وطبيعي أن يتعرض الكتاب لتحديات جمة في العديد من الدول الرأسمالية بعد أن أعلن ماركس عن أهداف الحزب والتي منها إلغاء الملكية الخاصة وحقوق المواريث ونزع ملكيات المهاجرين والمتمردين والمركزية في إدارة الأعمال وخلافه.

منذ صدور ديوان «أوراق العشب» **Leaves of Grass** عام 1855 للشاعر الأمريكي ولت وايتمن **Walt Whitman** جرت محاولات مختلفة لمنع الكتاب بسبب ماتضمنته بعض قصائد الديوان من إيماءات جنسية.

عام 1857 تم تغريم الشاعر الفرنسي بودلير 300 فرنك بسبب ديوانه «أوراق الشر» **Les Fleurs du Mal** والذي حوى ست قصائد تحررية.

ففي عام 1873 أسس فرد اسمه أنتوني كومستُك **Antony Comstock** جمعية نيويورك **New York Society** لقمع الرزيلة ويقال أنه حرق (15) طن من الكتب وكسر 284 ألف طن من ألواح الطباعة بالإضافة إلى 4 مليون صورة.

كتب جورج بيرنارد شو هذه المسرحية التي بين أيدينا عام 1893 في نفس العام الذي نشرت فيه مسرحية أوسكار وايلد

«سالومي» في فرنسا بعد حظرها في إنجلترا وبعد عامين من ظهور «بيت الدمية» لهنرك إبسن. تناول شو في مسرحيته بجرأة – لم يعتادها المشهد الفيكتوري – قضية بيع إمرأة لجسدها.

قامت الرقابة الرسمية على المسرح الإنجليزي بحظر عرض المسرحية، ولم يرفع هذا الحظر إلا عام 1902 حين تم عرضها بشكل خاص أي بعد حوالي ثمانية أعوام من كتابتها.

تم عرض المسرحية في نيورك عام 1905 لكن شرطة المدينة ألقت القبض على كل من له علاقة بها، لكنها فشلت في النهاية في إدانة فريق العمل وعادت المسرحية للعرض عام 1907م.

وفي عام 1926م تم عرض المسرحية بشكل رسمي في إنجلترا بعد فترة وجيزة من حصول مؤلفها على جائزة نوبل في الآداب.في دفاعه عن العمل كتب بيرنارد شو أنه إذا كان القانون يمنع عرض العلاقات الحميمة على خشبة المسرح فأولى بالرقابة أن تمنع «أنطونيو وكليوباترا» و«عطيل» و«هنري الرابع» و«غادة الكاميليا»... إلخ.

تم حظر كتاب «ثراء الشعوب» The Wealth of Nations للكاتب آدم سميثAdam Smith في الدول الشيوعية بسبب محتواه الرأسمالي. ياترى كيف ترى الدول الاشتراكية هذا الكتاب الآن بعد تردي أنظمتها وأحوالها والتوجه نحو اقتصاديات السوق.

وفي عام 1915م، اعتقل زوج المؤلفة أرجريت سانجر في الولايات المتحدة لتوزيعه كتابًا لها بعنوان «تحديد العائلة»، والذي وصف ودافع عن مناهج متنوعة من منع الحمل.

عام 1925 ظهر كتاب «كفاحي» لأدولف هتلر في ألمانيا. تم معاملة الكتاب بمنتهى القدسية خلال فترة حكمه لكنه منع في العديد من الدول أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية.

عام 1928 تم منع كتب الفيلسوف «كانت» في الاتحاد السوفيتي السابق لتعارضها مع النظرية اللينينية وفي نفس العام صادرت الجمارك الأمريكية شحنة من كتاب «كانديد» لفولتير الذي وصف بأنه المحرّض لفكرة أن العالم يخضع لقوة الشر.

عام 1930 أمضى صمويل روث **Samuel Roth** تسعين يومًا في أحد السجون لأنه روج كتاب «أشعار الحب» **Kama Sutra** الذي ترجمه من السانسكريتية إلى الإنجليزية ريتشارد بيرتون **Richard Burton** ويحتوي الكتاب على نصوص جنسية فاضحة وضعها فاتسيايانا في الهند القديمة.

في عام 1931 صدر في الاتحاد السوفيتي قانونًا بإنشاء إدارة تخول سلطة منع طبع ومنع وتوزيع الكتب التي:

1-تحتوي على دعاية مناهضة للسلطة

2-تميط اللثام عن أسرار الدولة

3-تثير العصبية العنصرية أو الفتنة الطائفية

4-تناهض الآداب العامة

في نفس العام منعت الصين «أليس في بلاد العجائب» لأن الحيوانات بها تتحدث بنفس لغة البشر!

أثناء الحرب العالمية الثانية وكجزء من الدعاية العسكرية الأميركية ضد هتلر أنتج ديزني أفلامًا عن الفأر «ميكي» وهو يتندر على هتلر والألمان، ويصورهم بأنهم أشرار، فقرر هتلر منع أفلام وكتب ورسومات وتماثيل ومجلات «ميكي ماوس».

عام 1954 نفى كارلوس كاستيلو أرماس حاكم جواتيمالا الروائي ميجيل أستورياس وجرده من الجنسية وحرق كتبه ومنها روايته «السيد الرئيس» التي كانت سببًا في منحه جائزة نوبل عام 1967. كما منع كارلوس «البؤساء» لفيكتور هوجو وروايات دسوستيافسكي لأنها تحرض على التمرد!

عام 1955م ذكرت صحيفة النيويورك تايمز أن كتاب ماري شيلي «فرانكنشتاين» قد حظر في جنوب أفريقيا باعتباره مكروهًا، كما حظر هذا النظام أيضًا كتاب الجمال الأسود «لأنا سويل»، رغم أنها قصة حصان.

عام 1961 ظهر كتاب أثار ضجة كبيرة في الولايات المتحدة لأنه تعرض للتفرقة العنصرية بين السود والبيض. الكتاب هو «أسود مثلي» Black Like Me للكاتب جون هوارد جريفين John Howard Griffin. وفي عام 1966 تم حظر كتاب «أرض الحرية: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية» Land of the Free للكاتب جون هوب فرانكن John Hope Frankin وآخرين لأسباب عديدة أهمها وضع السود هناك خلال هذه الفترة.

في عام 1974 نجحت وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA من حذف 168 قطعة من كتاب وضعه فيكتور مارشيتي عن فترة عمله بالوكالة.

في عام 1979 منعت جنوب أفريقيا رواية «ابنة بيرجر» للروائية «نادين جورديمر» كاتبة جنوب افريقيا البيضاء التي اكتسبت شهرتها بفضل مناهضتها لسياسة التمييز العنصري في بلادها ومناصرتها لنلسون منديلا والتي أوصلتها كتابتها الإبداعية إلى نوبل للآداب عام 1991.

في نفس العام 1979 صادرت الحكومة الإندونسية كتب براموديا أنانتيا وأودعته السجن لمدة عشرين عامًا حيث رأت أن

كتبه تمثل تهديد بأفكارها الماركسية اللينينية وتحوي موضوعات مشتعلة كالفجوة بين الأغنياء والفقراء وخلافه.

عام 1987 ثار عدد من أولياء أمور طلاب مدرسة بولاية متشيجان ضد وجود كتاب «مختارات من البوذية» للكاتب د.ت. سوزوكي بقائمة المطالعات المدرسية.

عام 1992 أصدرت الرقابة الأسترالية والنيوزيلندية أمرًا بمصادرة نسخ كتاب المخرج الأخير Final Exit كما منع الكتاب في فرنسا وإنجلترا. يتناول مؤلف الكتاب ديريك هامفري Derek Humphery قضية موت الشفقة والمساعدة على الانتحار ويقدم نصائح للذين يقدمون على هذه الفعلة.

عام 1994 صدر كتاب «إنه أمر طبيعي جدًا» It's Perfectly Normal للكاتب الأمريكي روبي هاريس Robie Harris والذي يخاطب فيه المراهقين ويسعى إلى تثقيفهم جنسيًا. تناول الكاتب الأعضاء التناسلية والشذوذ والتغيرات التي تطرأ على أجسام المراهقين وأشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل وصاحب الكتاب رسومات توضيحية. أحدث الكتاب ضجة وعلى الفور جرت محاولات عديدة لحظره في كاليفورنيا وتكساس وألاسكا وماساشوسيتس واتهم الكتاب بالتوغل في المكاشفة

والمصارحة وطالب العديدون رفعه من على أرفف المكتبات المدرسية.

من الكتب التي منعت في إنجلترا خلال فترة رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر كتاب «القبض على الجاسوس» **Spycatcher** للكاتب بيتر رايت **Peter Wright** . الكتاب تم نشره في أستراليا ويعتبر سيرة ذاتية لشخص ارتبط بالمخابرات الإنجليزية والخدمة السرية وبذلك مثَّل تحديًا خطيرًا لسرية المعلومات والأمن القومي.

عام 1997 قامت السلطات الإسرائيلية بالقبض على مايك إيلدار **Mike Eldar** من البحرية الإسرائيلية واتهمته بالتجسس بعد صدور كتابه «داكار : قصة غواصة إسرائيلية» كما منعت عام 2002 نحو 200 كتاب من الخارج للمشاركة في معرض حيفا بدعوى أنها تحوي مواد تحريضية ضد إسرائيل. كما تم منع كتاب «هل فعلًا لقي 6 مليون شخص حتفهم» **Did 6 Millions Really Die?** للكاتب ريتشارد هاروود **Richard Harwood** لأنه أنكر الهولوكوست ناهيك عن مئات الكتب التي ترى إسرائيل أنها معادية للسامية والتي طالت حتى تراث الكاتب الإنجليزي وليم شكسبير ومسرحيته «تاجر البندقية» **The Merchant of Venice** والذي يقدم فيها شخصية شايلوك، اليهودي الجشع.

الفصل الأول

الأسباب العامة لمنع الروايات

تتفاوت أسباب منع الروايات لكن يمكن حصرها في خمس تصنيفات رئيسية:

1ـ سياســية 2ـ اجتماعيــة

3ـ جنـــسية 4ـ دينيـــة

5ـ عنـــصرية

1ـ سياسية:

رواية مزرعة الحيوان **Animal Farm** للكاتب الإنجليزي جورج أورويل **George Orwell** :

قصة ممتعة صغيرة الحجم كثيرة المضامين تصلح للأطفال في شكل كرتوني جميل وتجعل حتى أعتى العقول تنخرط في تفكير عميق. صدرت عام 1945م وقد قام أورويل بكتابتها أثناء الحرب العالمية الثانية، تحت تأثير تجربته في الحرب الأهلية الأسبانية عام 1936م.

تدور أحداث القصة حول تمرد حيوانات مزرعة ضد مالكها الذي يستغلهم أسوء استغلال. تشرع الحيوانات بعد طرد مالك المزرعة في تنظيم شئون المعيشة على أساس من القيم المثلى لكن التطبيق غير النظرية فسرعان ماتدب بينهم الأطماع ويتسلل إلى نفوس البعض الطمع والاستعلاء والأنانية. إنها قصة كل الثورات التي تبدأ بيضاء ثم سرعان ما تأكل أولادها.

تعرضت الرواية للمنع في عدة دول اشتراكية لوجود التشابه الكبير المقصود بين شخصيات الرواية وبعض الشخصيات الحقيقية، فمن الواضح أن الرواية كلها عبارة عن قصة (الثورة البلشفية)، والخنزير العجوز «ميجر» بمثابة «كارل ماركس»،

ويتضح – بجلاء – من أحداث الرواية أن الخنزير «نابليون» يقصد به «ستالين»، والخنزير «سنوبول» هو «تروتسكي»، والخنزير «سكويلر» يمثّل الإعلام الشمولي الموجه ومالك «مزرعة الحيوان» الأصلي يشبه القيصر الروسي «نيكولاس الثاني».

2ـ اجتماعية:

رواية المعضلة 22 Catch للكاتب الأمريكي جوزيف هيللر : Joseph Heller

تعتبر رواية «المعضلة 22» لجوزيف هيلر من قمم الأدب الساخر، وبيعت منها عشرات الملايين من النسخ، وصار اسم الكتاب عبارة بلاغية ومصطلح اصطلاحي لغوي واسع التداول ويستخدم ليصف موقف يواجه فيه الشخص الأمرين ويكون بين شقي المطرقة والسندان فيدور في الحلقة المفرغة. ظهرت الرواية عام 1961 وتدور أحداثها خلال الحرب العالمية الثانية. بطل الرواية هو النقيب جون يوسارين الذي يعمل على قاذفة من سلاح الجو الأمريكي ومساعيه لكي يتم استبعاده من القتال بعد شهد مسقط بعضًا من رفقائه صرعى في ساحة الوغى. ولتحقيق مأربه ادعي يوسارين الجنون لكن سعيه خاب نتيجة وجود المادة 22 من قانون الخدمة الأمريكي والتي تقضي بأنه لا يأخذ قرار تحاشي القتال سوى شخص عاقل.

تم منع الرواية للغة البذيئة المستخدمة في بعض طياتها وهي اللغة الواقعية التي تستخدم في الجيوش خاصة في توقيت الحرب، ناهيك عن بعض الآثار الإجتماعية المدمرة لتفشي هذه اللغة في المجتمع. في عام 1974 على سبيل المثال طالب أولياء أمور طلاب عديدين في مدينة دالاس بولاية تكساس الأمريكية برفع الرواية من على أرفف المكتبات المدرسية بسبب ألفاظ السب والقذف التي تساعد الرواية على انتشارها، خذ مثلًا يستخدام«whore» أو «عاهرة» للإشارة إلى النساء.

3. دينية :

على سبيل المثال رواية الإغواء الأخير للمسيح The Last Tempetation للكاتب اليوناني «نيكوس كازانتزاكيس»:

يقول المؤلف في مقدمة كتابه حول الفكرة التي دار حولها «الإغواء الأخير للمسيح»: إن كل لحظة من حياة المسيح هي صراع وانتصار. لقد قهر الفتنة القاهرة لرغبات الإنسان البسيط، قهر الإغراءات، وعمل دون هوادة على إحالة اللحم إلى روح، ثم ارتقى، وصعد إلى العليين. ولكن، حتى وهو هناك لم ينته صراعه. فالإغراء– الإغواء الأخير– كان بانتظاره في هذه اللحظات الحاسمة، ومرت في لمح البصر، الرؤى الخادعة للحياة السعيدة

الوادعة. وبدا للمسيح أنه سلك سبيل البشر المهد السهل، وتزوج وأنجب أطفالًا، وأحبه الناس واحترموه، والآن، بعد أن أصبح عجوزًا، جلس على عتبة داره يبتسم برضى وهو يتذكر أشواق شبابه. كان ذاك هو الإغواء الأخير الذي جاء كلمح البرق ليعكر صفو اللحظات الأخيرة لكن المسيح هزّ رأسه بعنف على الفور، وفتح عينيه، ورأى. لا. لم يكن خائنًا. المجد للرب!. ولا كان آبقًا، لقد أنجز المهمة التي وكلها الله إليه. إنه لم يتخذ له زوجة، ولم يعش حياة سعيدة، لقد وصل إلى ذروة التضحية. من الطبيعي إذن أن تمنع الكنيسة الأورثوذكية الشرقية والعديد من الكنائس الأخري هذا الكتاب.

4. جنسية:

تحتل الكتب التي تمنع لأسباب جنسية وبذاءات لغوية المركز الأول بين أنماط المنع.

على سبيل المثال لا الحصر رواية «مول فلاندرز» للروائي الإنجليزي دانيال ديفو والذي يعد من مؤسسي الرواية الإنجليزية لكن هذه الرواية نالت سمعة سيئة اقترنت بها منذ صدورها عام 1722م ومنعت أكثر من مرة. من الروايات التي منعت أيضًا لنفس السبب رواية «فاني هيل» لجون كليلاند والتي صدرت عام

1748 أثناء وجوده في السجن وهي قصة الفتاة الريفية التي تسافر إلى العاصمة لندن لتعمل خادمة في أحد البيوتات لكنهـا تنزلـق إلى الخطيئة. تعج الرواية بالوصف الجنسي الذي يلعب على وتر إيقـاظ وتحريك الغرائز حتى في المواطن التي استخدم فيها كليلاند التورية والمجاز. في الستينات من القرن الماضي رفعت الحكومة الإنجليزية الحظر عن هذه الرواية.

مثال آخر رواية «فاني هيل» بقلم جون كليلون والتي كتبها في السجن الذي دخله لعدم قدرته على الوفاء بديونه. قدم كليلـون في قصته الإيروسية الفرنسية **Eroticism** عن طريـق رسـالة طويلـة، تكشف من خلالها فاني لإحدى صديقتها عن أكثر الجوانـب المخفية من حياتها السرية في مقتبل عمرها. تحكي لهـا عـن أبويهـا والقـدر الكارثي الذي ألم بهما ما دعاها لأن تغادر بلـدتها إلى لنـدن، المدينـة الوحش التي استطاعت وهي بعدُ مراهقة صغيرة أن تجد لها في دور الهوى فيها موطئ قدم.على ما في الرواية من جنس فإن العشق فيها هو الأهم، لأن فاني وإن سميت ببائعة هوى كانت تجيد فن العشق. **Making love**

مثال ثالث تمثله رواية «باميلا» لصمويل ريتشاردسون، وتسمي الرواية أيضًا بمكافأة الفضيلة على أساس أن الخادمة باميلا حاولت الحفاظ على عفتها في بيت مخدومها فكانت مكافئتها أن ينتهي بها المطاف زوجة لسيد البيت-نعم تتزوج الخادمة باميلا سيدها بمحض إرادته ضاربًا تقاليد الأسرة وطبقته عرض الحائط.. يؤدي هذا الزواج إلى الإعلاء من البطلة اجتماعيًا واقتصاديًا في حين لايحدث مثل هذا للبطل.

إن رواية باميلا كانت دائمًا موضع تفسيرات متناقضة: قسم من النقاد وقف إلى جانبها ومنحها نظرة إعجاب ومنهم من اعتبر باميلا فتاة منافقة مخادعة تجيد جذب الرجل إلى شباكها وأنها هي التي أغرت وأغوت سيدها حتى نالت مأربها وأصبحت سيدة المنزل.

عام 1741 وضعت الكنيسة الكاثولكية الكتاب في قائمة الكتب التي يحظر على الطائفة الكاثولكية مطالعتها لأسباب أخلاقية تتعرض لموضوع الغواية وكذلك تدني اللغة المستخدمة، أي أن الكنيسة رفضت العمل شكلًا ومضمونًا وكان هذ الأمر

يمثل أكبر مايمكن أن يتعرض له كتاب أو عمل أدبي من منع كما استبعدت الرواية من قائمة المطالعة لتلاميذ المدارس الأمريكية لنفس السبب.

5. عنصرية :

كما حدث ذلك مع رواية أوليفر توست لشارلز ديكنز والذي كان ينعت فاجن **Fagin** باليهودي من باب الازدراء نظرًا لبخله.

الفصل الثاني
روايات محظورة

- 1984، جورج اورويل:

اختارت مجلة التايم الرواية كواحدة من أفضل مائة رواية مكتوبة بالإنجليزية منذ عام 1923 وحتى الآن.

ولد جورج أورويل (وهو الاسم المستعار لإريك بلير) في الهند العام 1903 من أبوين إنجليزيين، في عصر الاستعمار الإنكليزي للقارة الهندية، وكان جدّه ضابطًا في الجيش الإنكليزي في الهند، وأبوه موظفًا من موظفي «الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس»، ولعل هذه النشأة بالمستعمرة الإنكليزية الكبرى (الهند) قد دمغت شخصية جورج أورويل فانخرط منذ باكورة حياته في الاتجاه الراديكالي المعادي للاستعمار وحمل جورج أورويل السلاح في «الثورة الإسبانية» ضد الفاشية مثلما حمله أندريه مارلو، وأرنست همينغواي، وهو كان يقاتل، ويجرح، ويجمع في تجربته الشخصية بين الفكر والتمرس العملي (الممارسة) في مقاومة «الفاشية» التي تحفزه فيما بعد على حمل القلم ليكمل بالحبر الأسود ما بدأه بالحبر «الأحمر»، بدمه، في نقد الدكتاتوريات بأشكالها المتعددة.

أمضى جورج أورويل حياته وحتى وفاته في 1950 محبًا للحرية وكارهًا لسيطرة وهيمنة الإنسان على الإنسان. ولأنه تعرض بشكل دقيق في رواية 1984 إلى سطوة الأحزاب السلطوية والشمولية على الناس والشعوب ليكونوا مجرد أرقام هامشية في الحياة بلا مشاعر ولا عواطف وليس لديهم طموحات أو آمال، حيث يعملون كالآلات خوفًا من الأخ الأكبر ولينالوا رضاه لأنه يراقبهم على مدار الساعة فقد مثلت قصته خطرًا على هذه الأنظمة مما أدى إلى منعها في عدد من الدول التي كانت محكومة بحكومات شمولية كروسيا وغيرها من الدول. والغريب في الأمر أن الرواية قد واجهت تحديات حتى في الولايات المتحدة نفسها أحد معاقل الرأسمالية.

1984 عبارة عن تصور وتحذير لمستقبل من الوارد جدًا حدوثه، 1984 ليس تاريخًا لسنة مضت بل هو عنوان رمزي ينطبق على أي سنة ويلمّح بأن السيناريو المستقبلي المخيف المذكور فيها قد لا يكون بعيدًا، بل إن العديد من المفكرين يظنون أنه قد تحقق جزء كبير منه، والعقبة التي تحول دون تحققه كليًا هي مجرد عقبة تكنولوجية؛ وبشيء من التطور العلمي والتكنولوجي قد يصبح عالمنا – إن لم يكن كذلك الآن – مثل عالم «1984».

القصة تبدأ في شهر أبريل من عام 1984م، ونستون في شقته يملك جهازًا يسمى تيليسكرين، وهو شاشة تقوم بوظيفتين، الأولى هي عرض برامج وأغاني وأخبار الحزب الحاكم، والوظيفة الثانية هي مراقبة الناس، ولا يمكن إغلاقها أو حتى كتم صوتها فهي تعمل بشكل دائم، والحزب الحاكم يجند الأطفال ليعملوا جواسيس ضد آبائهم، لذلك يخشى الآباء من أطفالهم أكثر من أي شيء آخر! والحزب الحاكم يعتبر أي فكرة أو خاطرة تخرج من الإنسان بدون قصد هي جريمة يعاقب عليها قانون الحزب، فالإنسان يجب أن يفكر بأفكار الحزب ويؤمن بالحزب ويحب الأخ الأكبر، قد يتحدث الإنسان في نومه ويسمعه أحد أطفاله فيبلغ عنه شرطة التفكير! وهنا يذهب هذا الإنسان ولا يعود، تحرق كل الوثائق التي تتعلق به وكل خبر كتب عنه وكل شيء ولا يعود له أي وجود إلا في ذاكرة الآخرين الذين إن تحدثوا عنه بشيء سيلقون نفس المصير.

الحزب له شعارات تقول: الحرب سلام، الحرية عبودية، الجهل قوة! ويخصص كل يوم دقيقتين يسميهما «دقائق الكراهية!» تعرض في هذه الدقائق صورة عدو دولة أوشيانيا فيصيح الناس في وجه الشاشة ويرمونها بما لديهم، وهناك أسبوع للكراهية يخصص لقتل السجناء من الدول الأخرى.

في كل صباح يقوم ونستون على صوت صفارة يطلقها جهاز تيليسكرين، فيقف أمام الجهاز بعد ثلاث دقائق من الصفير ويتابع التمارين الرياضية التي تعرضها الشاشة، لكنه رجل في التاسعة والثلاثين من عمره ولا يستطيع إنجاز التمارين بشكل صحيح فتصرخ الشاشة في وجهه تأمره أن يتقن التمارين بنشاط وجدية!

الحزب الحاكم يسيطر على كل شيء، الماضي والحاضر والمستقبل، وأعضاء الحزب الحاكم يحصلون على أفضل أنواع الأطعمة، وليس كلهم يحصلون على ذلك بل المقربين من الإدارة العليا، الكل مراقب وليس هناك أي فرصة للهروب، تعابير وجهك قد تخونك وتؤدي بك إلى سجون شرطة التفكير، التي تعذب المرء وتقتل كل روح فيه وتقتل كل فكرة فيه حتى يؤمن بأن 2 + 2 = 5 أو 3!

في المشهد الافتتاحي للرواية نرى المواطن «ونستون سميث»، والذي يعمل في وزارة الحقيقة (وزارة الإعلام) والتي، بشكل ساخر، مناطة بتزييف الحقائق، نرى هذا المواطن وهو يدخل غرفته وقد أصابه الإحباط من دكتاتورية الحزب، ومن أسلوب الحياة الذي يفرضه. يفتح حينها دفتر كان قد اشتراه بشكل غير شرعي ليبدأ في تدوين أفكاره؛ وهو مدرك أنه ابتداءً من هذه اللحظة

قد صار في عداد الموتى، فمجرد عملية التفكير يعتبرها الحزب جريمة تستحق الموت ويسميها «جريمة الفكر»، يكتب ونستون في دفتره أنه يكره الأخ الأكبر، ثم يبدأ التفكير بـ «أوبراين»، وهو أحد أعضاء الحزب الداخلي الذي شعر ونستون أن ولاءه للحزب ليس تامًا، فقد شك ونستون أن أوبراين ينتمي لتحالف شديد السرية والغموض يعمل ضد الحزب.

ثم يفكر بعد ذلك في «جولدشتاين» عدو الحزب الأول، والذي كان أحد أهم أعضائه ولكنه تآمر عليه وحكم عليه بالموت ولكنه استطاع الهرب وأصبح يشكل قلقًا كبيرًا للحزب. انتهى ونستون؛ هذه الأفكار المجردة تعني مؤت زؤام مؤكد، لذا لم يعد لديه شيء يخسره، فالمرء في كل الحالات لن يُقتل إلا مرة واحدة . من هنا تبدأ الرواية؛ ويبدأ استعراض القمع والتسلط والطغيان والدكتاتورية والاستبداد أويبدأ استعراض الريبة والقلق والاضطراب والجزع، الحزب في كل مكان، الحزب في كل فرد أو كما يقول ونستون: لم يعد هناك مكان آمن سوى سنتيمترات معدودة في الجمجمة.

تدور الرواية في إطار مستقبلي، حيث يتنبأ بما يمكن أن تصل إليه كافة أشكال الأنظمة الديكتاتورية القائمة على نظام الحزب الواحد.

ويمكن تغيير بعض العناصر، مثل أجهـزة الرصـد، بـأجهزة الكمبيوتر أو الهاتف النقال التي تحتوي على الكـاميرا والـسماعات ولاقطات الصوت. أما قراءة الأفكار التـي تـراود الـذهن فإنـه لا يتجاوز الخيال الروائي حتى الآن.. على حد علمنا.

تتكون جمهورية 1984 من عدة وزارات، أهمها:

- وزارة السلام تعنى بشؤون الحرب
- وزارة الحب مسؤولة عن حفظ النظام وتطبيق القـانون، وهـي مصدر للرعب والخوف؛ فالحب بين الجنسين ممنوع إلا بموافقة الحزب. والغاية الوحيـدة المعترف بهـا للـزواج هـي إنجـاب الأطفال لخدمة الحزب.
- وزارة الوفرة ترعى الشؤون الاقتصادية.
- وزارة الحقيقة مسؤولة عن تكوين الحقائق التي يجـب أن يـؤمن بها الناس.

في الرواية يقارن أعضاء الحزب بين ما كانت عليه البلاد قبـل الثورة وبعدها، فهي قبل الثورة لم تكن جميلة كما هـي بعـدها، لقـد كانت مكانًا مظلمًا بائسًا، ألـوف الفقـراء يـسيرون حفـاة.. إلـخ. ويتساءل بطل الرواية: «كيف يمكنك أن تعرف مقدار مـا في ذلـك من أكاذيب؟ فقد يكون الإنسان العـادي حقًـا أفـضل حـالًا الآن

مما كان عليه قبل الثورة. غير أن البرهان الوحيد على نقيض ذلك كان ذاك الاحتجاج الصامت الذي تشعر به في قرارة نفسك، فضلًا عن الشعور الغريزي بأن الأوضاع التي تعيشها لا تطاق وبأنها لابد كانت في وقت سابق مغايرة لما هي عليه الآن. وفكر أن ما يميز حقا الحياة العصرية لم يكن قسوتها أو انعدام الطمأنينة، وإنما هو العري والانحطاط واللامبالاة».

- مغامرات توم سوير، مارك توين:

حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت الرواية الأوربية مهيمنة على المشهد الروائي العالمي بشكل ساحق قتل كل فرص البروز الجاد لأي عالم روائي خارج حدود أوربا. لكن أمارات التململ والانقلاب بدت من العالم الجديد، من أمريكا، التي أفرزت جيلًا من الأدباء نقلوا الرواية والقصة الأمريكية إلى مستويات عليا أصبحت بها تقارع أعمال الأوربيين وتضاهيها شهرة ونجاحًا.

وكان الروائي الأمريكي (مارك توين) أحد أهم الأسماء التي ساهمت في تحقيق هذه النقلة عبر أعماله الأدبية الناجحة من مقالات وقصص قصيرة وروايات؛ أبرزها (وصية الثلاثين ألف دولار)، (مغامرات هاكلبري فين)، (إلى خط الاستواء)، (الرجل الذي أفسد هادلبرج)، (الحياة على المسيسبي) وأخيرًا روايته

الشهيرة (مغامرات توم سوير) التي كانت ولازالت واحدة من أمتع الروايات بأجوائها الطفولية الساحرة .

ولد (مارك توين) في ولاية (ميزوري) عام 1835 باسمه الحقيقي (صموئيل لانجورن كليمنص) الذي استمر معه حتى احترف الكتابة الصحفية، وقد توالت عليه المصائب منذ بداية حياته إذ توفي والده وهو في سن العاشرة ثم شاهد أخاه وهو يحترق، ومات ابنه الأول، وواحدة من بناته، ثم زوجته، ليمضي بقية حياته يصارع الألم إلى أن توفي عام 1910، لكن مسحة السواد هذه لم تزده إلا سخرية وطرافة وازدراء بكل ما يحيط به حتى أصبحت السخرية والنقد اللاذعان سمة مصاحبة له.

«مغامرات هكلبري فين» من روايات الأدب العالمي، التي يتوجه الكاتب من خلالها إلى الناشئة ليقول لهم شيئًا من الأخلاق وعن العلاقات الإنسانية والاجتماعية هو يوجه إنما بأسلوب قصصي رائع، يجعل القارئ الفتى جزءًا من القصة يتفاعل معها ويتغذى بالمثل التي تخلل أحداثها المشوقة. تشويق وإثارة ومغامرات تستهوي الفتيان، وتأخذهم إلى عالم مارك توين القصصي الرائع الذي يبرز قدرته على خلق المواقف الأكثر ديناميكية، المفاجآت الأكثر إثارة للدهشة، والعلائق الاجتماعية

الأكثر تناقضًا، حيث الفن غاية بذاته، وكذلك الالتزام بإنسانية الإنسان وبقيم المجتمع. تتألف الرواية من اثنين وأربعين فصلًا، كل فصل منها رواية صغيرة يمكن، على الغالب، قراءتها منفصلة كل واحدة على حدة، إلا أنها في الوقت ذات تحيل إلى ما قبلها وإلى ما بعدها.

هذا وأن غنى الرواية إنما يتجلى بالألوان والمعاني، وهذا الذي دفع أحد النقاد إلى القول بأن الأدب الأمريكي الحديث ولد مع رواية هكلبري فين.

أما روايته الأشهر على الإطلاق وهي (مغامرات توم سوير) فقد نشرها لأول مرة عام 1876 ويحكي فيها طفولة الفتى (توم سوير). ونتيجة لنجاحها الطاغي فقد أتبعها بجزأين اثنين؛ الأول عام 1894 يتابع فيها رحلة (توم سوير) إلى أفريقيا بصحبة رفيقه الأثير (هاكلبري فين)، والثاني نشر عام 1896 بعنوان (المحقق توم سوير .(هذا بالإضافة إلى أجزاء أخرى تابعت مغامرات (هاكلبري فين) بمفرده .

(مغامرات توم سوير) تجري أحداثها على ضفاف نهر الميسيسيبي حيث يعيش الفتى (توم) مع عمته العجوز الصارمة (بولي) التي لا توفر جهدًا في سبيل فرض سلطتها ووصايتها على

(توم) وأخويه الصغيرين. لكن (توم) بطبعه شقي متمرد ومغامر لا يركن للطاعة والخضوع، وهو إلى ذلك عاشقٌ متيمٌ بطفلة جميلة سكنت قريتهم مؤخرًا. وبرغم صغر سنه يخطط (توم) ورفيقه المجرم (هاكلبري) بالهرب من القرية الرتيبة واقتحام عالم القراصنة المثير وذلك من خلال الإبحار بقارب مسروق. وفعلًا يبدآن المغامرة التي تقودهما إلى اكتشاف جريمة قتل مرعبة بطلها مجرم عتيد.. وهنا يدخلان في مغامرة أخرى لا تقل إثارة عن الأولى .

الرواية الشيقة وذات النَّفَس الطفولي الماتع كان لها مع السينما علاقة قديمة حيث حولت إلى أفلام عديدة ومتنوعة في أشكالها وأساليبها، فمن الفيلم الروائي الطويل إلى القصير مرورًا بالرسوم المتحركة.

تعرضت الرواية للمنع في مناسبات عديدة في مدارس الولايات المتحدة لأسباب اجتماعية تعزو إلى اللغة العنصرية المناهضة للسود ومنها استخدام الكلمات المحظورة ككلمة «زنجي» التي كانت تستخدم في هذا التوقيت بشكل عادي.

- كل شيء هادئ في الجبهة الغربية، إريك ماريا ريماركيه: (حميد كشكولي)

إن لم تستطع قراءة رواية «كل شيء هادئ في الجبهة الغربية» فيمكنك على الأقل مشاهدة الفيلم السينمائي الذي يحمل نفس الاسم والحائز على جائزة أوسكار. تغلبك العبرات في مواقف ومشاهد عديدة: بول بطل الفيلم عنها يقضي ساعات طوال في حفرة مع جندي فرنسي طعنه آنفًا واضطر أن يمضي بعض الوقت معه لشدة الاشتباكات. أنين الجندي الفرنسي يدفعه إلى الجنون لكنه يخرجه من النظرة الضيقة للقومية إلى النظرة الأرحب للعالمية والإنسانية. هناك أيضًا مشهد أم بول المريضة الحزينة ومشهد بول وهو يحمل رفيق السلاح «كات» على ظهره وسط الشظايا ثم يصل به بعد عناء إلى خيمة الإسعاف ليجده قد فارق الحياة.

ولد أريك ماريا ريمارك في أوستنابروك، ألمانيا، عام 1898 لعائلة من الشرائح الدنيا للطبقة الوسطى. أجبر عام 1916 على الخدمة العسكرية في الجيش الألماني للمشاركة في الحرب العالمية الأولى، وأصيب فيها بجروح بالغة. وبعد عشر سنوات من انتهاء الحرب، طبع كتابه بالألمانية والتي ترجمت إلى العربية تحت عنوان «كلّ شيء هادئ على الجبهة الغربية»، وهي تدور حول معايشة الجنود الألمان العاديين للحرب. وبينما تتحدث روايات أخرى عن

الحروب من منطلقات حماسية والعزة القومية وإذكاء نار الفرقة وزرع بذور الشقاق والعنصرية بين أبناء الشعوب حطم ريمارك الأساليب التقليدية لكتابة روايات الحرب، وأصبحت روايته عالمية وصورت عام 1930 كفيلم ناجح تحت نفس عنوان الرواية.

بعد وصول هتلر إلى السلطة عام 1930 في ألمانيا، هاجم النظام النازي رواية «كل شيء هادئ على الجبهة الغربية» متهمًا إياها باللا وطنية. هرب ريمارك إلى سويسرا مع زوجته جوتا زامبونا عام 1932. أصدر النظام النازي عام 1932 قرارًا بمنع روايتي ريمارك وقام بحرق نسخهما حيثما وقعت عليها عيون النظام. رحل عام 1939 إلى الولايات المتحدة مثل معظم المثقفين الألمان الهاربين من النازية، وحصل على الجنسية الأمريكية عام 1947. وأثناء الحرب العالمية الثانية قتل النظام النازي شقيقته لصلاتها مع شقيقها. مات ريمارك في 25 سبتمبر عام 1970.

تعالج أغلب روايات ريمارك القضايا السياسية والاجتماعية في أوروبا في فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية. تحولت العديد من هذه الروايات إلى أفلام. وستبقى رواية «كل شيء هادئ على الجبهة الغربية» رائعته وعمله الأعظم لشعبيتها وكثرة الدراسات النقدية عنها. وستبقى هذه الرواية والعمل السينمائي المبني عليها

من الأعمال الخالدة المناهضة للحرب والغطرسة القومية. أكثر الانتقادات لذعة والموجهة إلى الوطنية والقومية هي مصوبة في الوقت ذاته إلى أفكار شخصية «كاتورك» ومواقفه السياسية، ذلك المعلّم الذي يحاول ما بوسعه أن يقنع بخطاباته الحماسية باول وزملاءه للانخراط في سلك الجندية في مستهل الحرب.

يستخدم كاتورك البلاغة المثالية والوطنية والشاعرية لتبليغ أفكار الوفاء الوطني والأمجاد القومية. في رسالته للشباب، مثلاً، يدعوهم بالشباب الحديد، وينطوون على القوة والشجاعة والمرونة وغيرها من الصفات التي فشلت في تصوير أهوال الحرب التي تجعل الرجال يائسين ومحبطين يتشبثون بالقش للبقاء على قيد الحياة. وكلما تذكر باول ورفاقه خطابات كاتورك وهم في الخطوط الأمامية للموت ازداد مقتهم واشمئزازهم من القومية والوطنية. ويحمّلون في بداية الرواية، كاتورك موت جوزيف بيهن المبكر، مدعين أن المعلّم لم يدرك أن الأفكار الفارغة والغطرسة لا يمكنها حماية الشخص فيزيائيًا أو نفسيًا أو عاطفيًا في قلب المعركة.

السلاح الرئيسي للرواية الموجه نحو فكرة الوطنية هو ببساطة تصويرها القاسي لصور الدماء والأشلاء البشرية والحيوانية الأخرى. فكل مشهد لأية معركة تنقلها الرواية هي

صور للعنف الإجرامي وأوصاف دموية للموت والإصابات. مشاهد المستوصف الميداني تنقل للقارئ تعابير رهيبة عن الجروح المروّعة مستحيلة الالتئام بسبب شحة الأدوية والوسائل الطبية الأخرى. وبينما يحمل باول الجريح كات على ظهره لينقله إلى موضع آمن، فتصيب شظية شربنل رأس كات.

وبسبب جفاف مشاعر الجنود يتعاملون مع الموت بكفاءة لا شخصية: الطباخ يتساءل إن كانت الضوابط العسكرية تسمح بإعطاء جراية الجنود القتلى إلى الجنود الباقين على قيد الحياة،، وحين يلفظ كيمريخ أنفاسه الأخيرة، لم تيبس الدموع في مآقيه بعد حتى يتسارع جنود لإخلائه لإشغال سريره. وفي أجواء العنف الرهيبة هذه، تفقد الخطابات القومية والوطنية قوتها الإقناعية وتكشف عن وجهها الريائي المضلل.

يشير ريمارك في هذه الرواية إلى أن أي جندي لكي يعيش هذه الأجواء الحربية عليه إطفاء ذاكرته والتحرك وفق ما تملي عليه الغرائز، وأن يتحول إلى أقل من كائن بشري، وأسمى شيئًا ما من الحيوان. يتصور باول نفسه «حيوانًا إنسانًا»، وبقية الجنود الناجين من الموت في المعارك تحركهم الغرائز أيضًا. معايشة المعارك بهذه الطريقة حيوانية تمامًا في هذه الأجواء، حين يطيع الجنود غرائزهم

بدل العقل والحكمة ويستشمون كالكلاب إمكانيات الأمان حيثما كانت. وبهذا تتحطم إنسانية الجنود، وتسلبهم الغريزة الحيوانية إمكانية الشعور ما يجعلهم يسلكون كوحوش لا كبشر اجتماعيين.

لا يكثر ريمارك في روايته «كلّ شيء هادئ على الجبهة الغربية» من توظيف الرموز، لكن أهم رمز في الرواية هو حذاء كيميرخ التي يتناوب على امتلاكه عديد من الجنود بعد موت مالكه. كيمريخ نفسه انتزعه من جثة طيار مقتول، وبينما كان كيمرخ يستلقي على فراش الموت يبدأ مولر حالًا بالمناورة لاستلام الجزمة العسكرية. يأتي باول بها لمولر بعد موت كيمرخ، ويأخذه لنفسه بعد مقتل مولر في الرواية. بهذه الطريقة، يمثل الحذاء رخص الحياة البشرية أثناء الحروب وسلطات القوى القومية. زوج من الأحذية أثمن وأطول دوامًا من حياة البشر. والسؤال من سيرث الحذاء بعد موت مالكه. يرمز الحذاء أيضًا إلى البراغماتية الضرورية التي ينبغي لكل جندي أن يحوزها. ولا يمكن لأحد أن يخنع لعواطفه بين أنقاض الحرب، بل عليه أن يردم منابع الحزن واليأس مثل أية ماكينة.

- عالم جديد وشجاع، الدوس هيكسلي:(زيد الرفاعي)

نشرت الرواية في إنجلترا عام 1932 وتدور أحداثها في مدينة خيالية يسميها هيكسلي باليوتوبيا حيث تتحكم الهندسة الوراثية في المعطيات العامة للحياة أدق خصوصيات البشر.

تعرضت الرواية لانتقادات واسعة المدى في العديد من مدارس الولايات المتحدة أشهرها قيام مدرس لغة إنجليزية بالادعاء بأنه فصل من عمله بإحدى مدارس ولاية ميريلاند لأنه قام بتدريس أجزاء من هذه الرواية لتلاميذه.

ظهرت رواية الدوس هكسلي «عالم جديد شجاع» في إنجلترا عام 1932. الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه الرواية هو السخرية المتشائمة ومن المعروف ان السخرية هي جنس من الخيال الذي يجذب انتباه القارئ لمثالب مجتمعه خاصة أو المجتمع الإنساني عامة. وغالبًا ما يتم تصويرها ووضعها بقالب خيالي (كما هو الحال في كلاسيكيات هذا الجنس مثل (رحلات جلفر) بعيد في زمانه ومكانه أو ثقافته عن عالم الساخر (والقارئ). ويصدق هذا على روايتنا فهي تدور في المستقبل. في رواية عالم جديد شجاع هناك شخصيتان ساخرتان - الهمجي الشبيه بجلفر- غريب وخارج عن العالم المسخور منه وشخصية برنارد ماركس وهو من

السكان القاطنين في عالم الرواية، وهو عبارة عن شخصية ساخرة تقليدية غير متوافقة مع مجتمعه. ومصير الشخصيات الساخرة هو مصير مأساوي – الموت، فقدان الشخصية، أو كما في حالة برنارد ماركس، النفي إلى أيسلاند.

قدم هيكسلي في روايته نفعية عالم جديد شجاع وتنبأ بالاستنساخ وكان مصيبًا إلى حد بعيد في تحليل لأثر التقدم العلمي على المجتمع خاصة الجانب السلبي منه. وإحدى هذه السلبيات اختراق خصوصية الأفراد فمثلًا، نجد أن التقدم في مجال الإلكترونيات قد زاد من كفاءة المراقبة والاستطلاع فضلًا عن أن برامج الإخفاء الإلكترونية قد انتهكت الخصوصيات. في بعض الأحيان يكون التقدم العلمي التقني خارج حدود السيطرة وقد يقودنا إلى مستقبل لا يكون خيرًا من الحاضر. لقد جعل الحياة أكثر أمانًا وراحة ومتعة رغم أن ذلك لم يكن لجميع الناس حتى في المجتمع الأمريكي نفسه. تتميز رواية هكسلي بمضمونها التقني العالي وليس هذا بالأمر المستغرب إذا علمنا أنه ينحدر من أسرة علمية عريقة وقد درس الطب وقد طغت في المجتمع الذي صورته رواية عالم جديد شجاع مسألة الاهتمام بالنظرة المستقبلية للتقنية التي برع في وصفها وتبيانها. وهي على ثلاثة أنواع:

أولاً- التقنية التناسلية: فمنع الحمل أصبح مضمونًا ولايتداخل مع المتعة الجنسية وهكذا أصبحت ممارسة الجنس معزولة عن مسألة الإنجاب والعكس صحيح. إذ تخلط البويضات والحيوانات المنوية داخل المختبر لتوضع بعد ذلك في حاضنات حتى وقت الولادة. وقد ساعدت هذه الطريقة علم تحسين النسل بلوغ درجة الكمال منتجة خمس طوائف أو طبقات مختلفة وراثيًا تترواح من طبقة الالفاس ذات معامل الذكاء العالي إلى طبقة الأبسلون ذات معامل الذكاء العادي ليلبي بالتالي حاجات المجتمع حسب المواهب الوراثية لأفراده.

ثانيًا- تقنية تحوير العقل والجسد والتي تتضمن التنويم المغناطيسي أثناء النوم والجراحة التجميلية واقراص السعادة لمعالجة لاكتئاب والتي تصرف دون الحاجة لمراجعة طبيب وتؤخذ باستمرار من قبل الجميع. وبالنسبة للمتقدمين بالعمر فتوجد الهرمونات الجنسية ونقل الدم الشاب.

ثالثًا- تقنية التسلية المولدة للسعادة والتي تتضمن التلفاز والموسيقى والأفلام التي تشبع الحواس الخمسة فضلًا عن الطائرات المروحية الشخصية لطبقة الألفاس لقضاء أوقات الأجازات والعطل.

ولهذه التقنيات المذكورة أعلاه تأثيرات عميقة على المجتمع فمن جهة أنها تستحث الرضى الأبله اللاواقعي المشتمل لممارسة البغاء الجنسي غير المثير لإحساس الذنب ومن جهة أخرى تستحث الفراغ الفكري والسلبية الكاملة في الموقف السياسي فضلًا عن تلاشي الزواج والأسرة والأبوة - التي نظر إليها بكونها مصدر البؤس والإرهاق والألم. في عالم جديد شجاع، نجد أن التقنية عبد خاضع لمذهب المنفعة. ففوق كل شيء آخر، فان رواية هكسلي هي مزيج.

إن موضوع السخرية الذي أحسن هكسلي تصويره باستخدام الطبقات، والذي هو بطبيعة الحال استهزاء صريح بنظام الطبقات الإنجليزي وبتقديم الهمجي وأمه للمجتمع اللندني المصدوم كعينات غريبة لهمجية العالم الجديد (رغم كونهما بالطبع إنجليزيان)، يدعونا للتأمل بالظروف السائدة في إنجلترا وقت كتابة عالم جديد شجاع. إن أحد أسباب تداول قراءة رواية «عالم جديد شجاع» حتى يومنا هذا راجع إلى أن كثير من توقعاتها عن التقدم التقني والأخلاق في المستقبل قد تحقق أو في طريقه للحدوث. فمثلًا باختراع طرق منع الحمل أمكن إشباع اللذة الجنسية بأمان فضلًا عن سلسلة الإنجازات التقنية الأخرى بدءًا

من أطفال الأنابيب وتوفير الرعاية الطبية للمرأة الحامل والأطفال وانتهاءً بأجهزة تقنين العمل المنزلي والعلاج الطبي للعقم وأتمتة المصانع التي خلصت المرأة من القيود التقليدية المفروضة على حريتها الجنسية. وهكذا فقد توفر مناخ للحرية الجنسية ولانغماس الجميع بالجنس وبالمتعة الجنسية إلى حد كبير يشبه ذلك الجو الذي وصفته رواية هكسلي على الرغم من أن الأم ليست كلمة قذرة كما هو عليه الحال في الرواية ولم ينته ويتلاشى الزواج رغم هبوط معدله بصورة ملحوظة.

- الدكتور زيفاجو، بوريس باسترناك:

بوريس ليونىدوفيتش باسترناك (10 فبراير 1890 - 30 مايو 1960م) كاتب وشاعر روسي. عرف في الغرب بروايته المؤثرة عن الاتحاد السوفييتي الدكتور زيفاغو لكن يشتهر في بلاده كشاعر مرموق. مجموعته حياة شقيقتي تعد من أهم المجموعات الشعرية التي كتبت بالروسية في كل القرن العشرين.

ولد في موسكو لأب كان يهوديًا وتحول إلى الكنيسة الأرثودوكسية، وهو رسام متميز وأستاذ في معهد الفنون، والدته هي روزا كوفمان التي كانت عازفة بيانو مشهورة. نشأ بوريس في جو عالمي منفتح على مختلف الثقافات، وكان من زوار والده

الدائميين سيرجي رحمانينوف، ريلكه، وليو تولستوي. تحول والده إلى المسيحية أثر كثيرًا على بوريس، والكثير من أشعاره تعكس مواضيعًا مسيحية بوضوح.

بدافع من الجو المحيط به، دخل بوريس كونسرفتوار موسكو عام 1910م، لكنه سرعان ما ترك الكونسرفتوار ليدرس الفلسفة في جامعة ماربورغ. رغم نجاحه الدراسي إلا أنه رفض أن يعمل في مجال تدريس الفلسفة وترك الجامعة عام 1914 م، وهي نفس السنة التي أصدر فيها ديوانه الأول.

قصائد باسترناك الأولى أخفت ولعه بأفكار كانت، وأظهر نسيجها المتميز قدرته على استخدام نوع من التباين في المعاني لكلمات متجاورة ومتشابهة في البناء اللغوي.(وهو نوع معروف في الشعر الروسي ويشبه السجع عند العرب ولكن التشابه يكون في بداية الكلمات)، استخدم باسترناك كذلك لغة يومية، وتقارب كبير من شاعره المفضل ليرمونتوف.

خلال الحرب العالمية الأولى، عمل باسترناك ودرس في مختبر للكيميائيات في الأورال، وهي التجربة التي ستقدم له مادة أولية خصبة سيستخدمها لاحقًا في (الدكتور زيفاغو). على العكس من الكثيرين من أبناء طبقته وأصدقائه وأقاربه الذين تركوا روسيا بعد

الثورة البلشفية، فإنه بقي في بلاده وقد أبهرته شعاراتها وهزه حلم التغيير عبر الثورة.

قبيل عدة سنوات من الحرب العالمية الثانية، استقر باسترناك وزوجته في قرية صغيرة ضمت مجموعة من الكتاب والمثقفين. حب باسترناك للحياة منح شعره نفسًا متفائلًا وعكس ذلك في تجسيده للشخصية الأساسية في رواية (الدكتور زيفاغو)، أما بطلة الرواية لارا فقد قيل إنها تمثل عشيقته أولغا أيفنسكايا. بسبب من الانتقاد الشديد الموجه للنظام الشيوعي، لم يجد باسترناك ناشرًا يرضى بنشر الرواية في الاتحاد السوفياتي، لذلك فقد هربت عبر الحدود إلى إيطاليا، ونشرت في عام 1957، مسببة أصداء واسعة: سلبًا في الاتحاد السوفياتي، وإيجابيًا في الغرب. رغم أن أحدًا من النقاد السوفيت لم يكن قد اطلع على الرواية إلا أنهم هاجموها بعنف، بل وطالبوا بطرد باسترناك.

في العام التالي 1958 منح باسترناك جائزة نوبل للآداب، لكن باسترناك رفضها. توفي بوريس في 30 مايو 1960 ولم يحضر جنازته سوى بعض المعجبين المخلصين. لم تنشر (الدكتور زيفاغو) في الاتحاد السوفياتي إلا في عام 1987 مع بداية البيروسترويكا والغلاسنوست.

حولت رواية الدكتور زيفاغو إلى فلم سينمائي ملحمي عام 1965 م، من إخراج ديفيد لين، بطولة عمر الشريف وجولي كريستي، وقام موريس جار بتأليف موسيقاه التصويرية. حصد الفلم خمسة جوائز أوسكار، ويعد ثامن أنجح فلم على مستوى شباك التذاكر العالمي، متجاوزًا فيلم تايتانيك عندما تحذف معدلات التضخم وتعدل بشكل نسبي.

لم تكن رحلة عائلة زيفاجو الأولى بعد إصابته في الحرب ومرضه بالتيفوس هي الأسوأ، وذلك بالرغم من أنهم قضوا في الطريق ثلاثة أيام يساعدون في إزاحة الثلوج عن قضبان القطار بالإضافة إلى وقفة أخرى لتقطيع أخشاب الغابة كوقود للقطار. نعم لقد غادر زيفاجو الذي أفلس أبوه بعد أن كان من الأغنياء ومات منتحرًا بعد أن أسرف في الشرب في إحدى القطارات والذي تزوج تونيا ابنة العائلة التي تولت تربيته، غادر معهم وهو غير راغب ليبعدوا عن اضطرابات المدن بعد بداية الثورة والتي أتت في وسط الحرب ضد الألمان وقسمت الروس لفريقين: البيض والحمر، واللذين كان بعض قوادها هم زملاء بوريس في الجيش.

لم يكد يستقر الحال بزيفاجو في الإقليم البعيد، بين أسرة محبة وبين امرأة كانت مرضته في الحرب وخلبت لبه، وبينما هو يفكر في

تركها والاعتذار لزوجته حتى أسره مجموعة من السوفييت الحمر ليبقى معهم قرابة السنتين رافضًا لأفكارهم، ومحاولًا الهرب ثلاثة مرات فاشلة لكنه ما إن يعرف أن أسرته تركت البلد الذي أووا إليه سالمين قبل تدميرها، حتى يفر مصطحبًا جعبة أخفاها وعلى زلاجتين في الشتاء مشيًا تقريبًا طوال الطريق، في طرق يخاف الأغراب في أن يقابلوا بعضهم فيه حتى لا يقتل بعضهم بعضًا.

وصل إلى المدينة الكبيرة بالإقليم حيث بيت لارا الممرضة أيام الحرب والمدرسة حاليًا، والتي تسبب نفس الشخص الذي كان محامي أباه وأورده مورد الانتحار بتشجيعه على الإكثار من الشراب في قطاره الأخير، كان هو أول من انتهك لارا بعد أن استغل أمها واتخذها عشيقة، مما جعلها تحاول قتله في حفل لعيد الميلاد أيام كان يوري زيفاجو ولارا صغارًا، هذا المحامي سيظهر في حياة يوري ولارا ثانية بعد أن تنقذه من الموت مريضًا لثاني مرة بالتيفوس، سيظهر المحامي بعد أشهر من عيش يوري بالمدينة الإقليمية.

وفي الوقت الذي تصل فيه رسالة من زوجته تطمئنه عليها وعلى طفليه اللذان لم ير ثانيتهما، حتى يحاول استمالتهما هذا المحامي للرحيل معه للشرق ليكون جزءًا من حكومة تقام هناك.

وحينها لا يفلح ويرحلا لنفس الكوخ النائي في القرية التي تركها يوري منذ سنتين يأتي خلفهما ليقنع يوري أن زوج لارا والذي أصبح من قادة البيض قتل رميا بالرصاص ويقنعه أن يترك لارا تذهب معه مقنعًا إياها أنه سيأتي لتتركه وحيدًا متفاجئًا بزوج لارا مطاردًا يأتي لنفس الكوخ ثم في أيام منتحرًا حتى دون أن يعرف بمصير زوجته وابنته.ثم تأتي الرحلة الأخيرة ليوري لموسكو على الأقدام حتى يجد أحد الأشخاص الذين التقاهم في قطاره الأول، يرافقه لموسكو فيجد عائلته في باريس حيث لا يستطيع الرحيل لهم ولا أن يأتوه هم، ويتزوج من ابنة جيرانه الجدد ولكنه يتركها ليعيش وحيدًا ويعمل من جديد طبيبًا ثم يموت في صمت في بلده لكنه غريب وحيد وتأتي لارا لكي تودعه بعد موته في تابوته.

ويبقى منه كتابًا يضم أفكاره وأحلامه لبلده أن تصل للحرية حرية الروح.كانت هذه الرواية التي أعجب الغربيون بها لنقدها للثورة البلشفية، ورفضها السوفييت حتى أنهم ضغطوا على باسترناك لرفض جائزة نوبل للأدب، رواية مليئة بالألم الاستغراب لحال روسيا قبل وبعد الثورة والاضطراب الشديد الذي تصبح معه الأفكار برغم أهميتها أقل أهمية ويصبح الكثيرون مستعدون

للحماس لأفكار جوفاء مكررة حتى لا يموتوا من الجوع الذي لا يقل ضراوة عن شتاء روسيا الرهيب الذي يشعرك بثلوجة الكلمات وأنت تقرأ. ثم يبقى الخوف المستمر من الاتهام بالعمالة والخيانة هو الخيار الأخير الذي يحول الناس لبقايا تعيش ولا تجد معنى سوى انتظار الحرية الموعودة لتأتي بعد الموت بمراحل.

لا شك أن هذا التصور يعجب الغرب جدًا لكنه أيضًا لا ينقص من شدة الأجواء الصعبة والتي وضعت الروس في حصار طبيعي داخلي فمن سيلقى لهم بالًا إن لم يفعلوا هم حتى ولو من خلال الحرب الأهلية المجنونة والتي يتسابق الفريقين فيها للقتل ومساعدة الناس البسطاء في نفس الوقت. يحس المرء بأن الحياة نعيم كبير بالقياس إلى معاناة يوري ولارا الكبيرين، بل وكل من حولهما ممن أحبا.

- فيهرينهايت 451، راي برادبيري:

ولد براد بري (1920) لابوين سويدين كانا لاجئين في أمريكا، حيث كان والده يشتغل عامل تلفونات متنقل، قرب مدينة شيكاغو. ولم يكمل هو دراسته الجامعية فعمل بائع صحف عند زاوية أحد الشوارع، واهتم بتثقيف نفسه من خلال ارتياده المكتبة العامة. نشر أول مجاميعه القصصية عام 1947 بعنوان الكرنفال

المظلم، وعمت شهرته الآفاق بعد نشره روايته الشهيرة (451 فهرنهايت) عام 1953 والتي أخرجها فرنسو تروفو للسينما 1966.

راي برادبوري كاتب الخيال العلمي الأمريكي غارق في التشائم كأكثر كتاب الخيال العلمي المعاصرين، الذين لم يعودوا في سذاجة هـ. ج. ويلز الذي أيد الحرب العالمية الأولى باعتبارها (الحرب التي ستنهي الحروب جميعًا)، ثم اتضح أن التقدم لا يلغي الحروب بل يأتي بالحروب المتقدمة !.. يجب ألا ننسى أن الإنسان استعمل الطاقة الذرية كقنبلة قبل أن يفكر في أي استخدام سلمي لها.. وبرادبوري يؤمن كآخرين أن سيطرة السلطة الشمولية على أنفاس البشر هي مسألة وقت لا أكثر..

(451) قصة مجتمع مستقبلي يسيطر عليه نظام شمولي مستبد، يحيك ويفصل حياة أفراده حسب مصالحه هو.. في هذا المجتمع هناك جريمة شنيعة يعاقب عليها النظام بشدة.. هي جريمة قراءة الكتب واقتنائها.. وقد بلغ الأسى مبلغًا إلى حد أن رجال الإطفاء تحول عملهم من مهمة إطفاء الحريق.. إلى النقيض.. إلى إضرام النار في الكتب المصادرة.. لكن وكما يحدث دائمًا.. لابد للتمرد أن يطلق شرارته.. والشرارة كان مصدرها هذه

المرة بطل الفيلم «مونتاج» أحد المسئولين في هذا النظـام.. وحينهـا تبدأ الإثارة.

كثير من الناس لم يقرءوا الروايـة لكـنهم بالتأكيـد شـاهدوا الفيلم العميق الذي قدمه فرانسوا تريفو عام 1969. إن (مونتاج) - لاحظ الاسم - رجل المطافئ يمارس عملـه بحـماس ونـوع مـن الغريزة الحيوانية التي علمتنا أن النار هي الطريقة المـثلى للخـلاص من المشاكل. (مونتاج) يعيش مع زوجته التي تنتمي لهذا العالم أكثر من اللازم.. زوجته التي لا تكف عن متابعـة إعلانـات التلفزيـون وتنتحر كل ليلة، ثم تـصحو في الـصباح وقـد نـسيت ذلـك!.. في الفيلم قامت الممثلة جولي كريستي بالدورين معًا كجزء مـن الرمـز الصعب. ثم تأتي الطامة الكبرى مـن عجـوز صـممت ألا يحرقـوا كتبها.. بل فضلت أن تحترق معها.. «كل هؤلاء المخابيل يفـضلون الموت مع كتبهم.

هذا نمط سلوكي معتاد» هذه هي الهزة التي تدفع (مونتـاج) دفعًا إلى أن يسرق كتابًا أو كتابين ليعرف سر هذه الأشياء الممنوعـة التي يفضل الناس أن يحترقوا معها.. وتدريجيًا يندمج في هـذا العـالم السحري، ويحاول أن يتفادى شكوك رئيـسه الـذي يقـول لـه: «في المـاضي كانـت الحيـاة هادئـة تـسمح بـالاختلاف.. ثـم في القـرن

العشرين تسارعت الحركة.. صارت الكتب أقصر ثم اقتطعت لتكون مجرد تعليق في كتاب مختارات.. أدر عقل الإنسان في آلة الطرد المركزي لتتخلص من كل الأفكار غير المجدية المضيعة للوقت.. انشر المزيد من الرسوم الهزلية في الكتب.. أعط الناس صورًا أكثر.. الرياضات الجماعية ممتعة وتغري بعدم التفكير..» يواصل رئيسه في المطافئ غسل مخه: «كلمة مثقف صارت سبة كما يجب لها أن تكون.. تذكر كيف كنت في طفولتك تكره الصبي الذكي في الصف، وتختصه بالضرب والتعذيب بعد الدراسة.

إنه خوفنا المبرر من أن نكون أقل من الآخرين.. خذ صراعاتك إلى المحرقة يا (مونتاج).. النار تحل كل شيء.. النار نقية طاهرة.. ولأسباب كهذه قمنا بتخفيض سن دخول الحضانة عامًا بعد عام.. حتى أننا اليوم ننتزعهم تقريبًا من المهد إلى الحضانة. أعط الناس مسابقات يربحون فيها إذا ما تذكروا أسماء الأغاني الشهيرة أو أسماء عواصم الولايات.. أو كم من القمح أنتجته ولاية (أيوا) العام الماضي!.. احشهم بالحقائق سريعة الاحتراق حتى يشعروا بأنهم أذكياء..!» «التلفزيون يغرقك في بحر من الأصوات والألوان بحيث لا تجد الوقت لتفكر أو لتنتقد.. إنه يقدم لك الأفكار جاهزة..» «دعني أؤكد لك أن الكتب لا تقول

شيئًا.. لو كانت قصصًا فهي تتكلم عن أناس لا وجود لهم.. لو لم تكن قصصًا فالأمر أسوأ.. أستاذ يعتبر الآخر أبله، وفيلسوف يحاول خنق فيلسوف آخر.. كلهم يكافحون محاولين محو النجوم وإطفاء الشمس.. فقط النار تستطيع أن تطهر كل هذا».

- عناقيد الغضب جون شتاينبك:

ولد الروائي وكاتب القصص القصيرة الأميركي «جون شتاينبك» في ساليناس، كاليفورنيا وتلقى علومه في جامعة ستانفورد. عمل جون شتاينبك في شبابه سائسًا في حظيرة للدواب ثم قاطفًا للفواكه. وقد كان لهذه الأعمال التي زاد لها في بداية حياته تأثير واضح على أسلوبه في كتابة الروايات والقصص التي أنتجها في حياته، فمن يقرأ ما كتبه يجد أن معظم أعمال جون تدور حول تشبث المزارعين بأرضهم وكفاح المعدمين من أجل تحصيل قوتهم بكرامة، كما ويلحظ أن شخصياته غالبًا ما وقعت في شرك عالم القوى الاجتماعية والاقتصادية غير العادل، إلا أنهم بشر عاطفيون أبطال ولو واجهتهم الهزائم.

نال جون شتاينبك جائزة نوبل للآداب سنة 1962 وتعد روايته «عناقيد الغضب» (1939) من أكثر أعماله شهرة ومبيعات وعنها نال جائزة بوليتزر سنة 1940، وفيها يصف حالة عائلة

فقيرة من أوكلاهوما أثناء هجرتها إلى واحة الأحلام في الغرب، كاليفورنيا خلال الأزمة الاقتصادية في الثلاثينات من القرن العشرين والمآسي التي تعرضت لها خلال هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر ويحذوهم الأمل أن يشقوا طريقهم هناك ويحالفهم التوفيق بعد أن تعرضت أراضيهم ومحاصيلهم للجدب. تستدعي الرحلة الخطرة إلى الذاكرة الرعيل الأول من المهاجرين. تفقد عائلة جود في الطريق إلى كاليفورنيا اثنين من أعضائها وعندما يصلوا في نهاية المطاف يكتشفوا أنهم كانوا يسيروا وراء كذبة وخدعة فالأحوال في كاليفورنيا ليست بأحسن حالًا من أوكلاهوما.

كتب ـ محمد الربيع حين كتب الروائي الأميركي جون شتاينبك الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام 1962، روايته عناقيد الغضب (1939)، اقترح نموذجًا ابداعيًا، يستلهم عناصره وأبطاله ورموزه ومادته السردية من إنسان الهامش الاجتماعي والثقافي الأميركي، فعناقيد الغضب مرآة سردية ضخمة نصبها شتاينبك في قلب حركة الإبدع الإنساني يرى فيها القارئ تجليات القهر الاقتصادي والسياسي وآثاره على الإنسان المقهور والهامشي المعذب.

وقد لاقى هذا العمل رواجًا في الأوساط الأدبية في ذلك الحين لكن تعرضت الرواية للهجوم العنيف من مقاطعة كيرن بولاية كاليفورنيا وهي المنطقة التي تجري فيها أحداث الرواية المؤلمة.

- هاري بوتر، ج. ك. رولنج:

هاري بوتر سلسلة من سبعة كتب للكاتبة البريطانية ج. ك. رولنغ؛ تحكي حكاية الصبي الساحر هاري بوتر، منذ اكتشافه لحقيقة كونه ساحرًا، وحتى بلوغه سن السابعة عشرة، فتكتشف ماضيه، وعلاقاته السحرية، وسعيه للقضاء على سيد الظلام لورد فولدمورت. وترافق سلسلة الكتب سلسلة من سبعة أفلام تحمل نفس عناوين الكتب.

حققت سلسلة هاري بوتر نجاحًا هائلًا منذ صدور الجزء الأول منها هاري بوتر وحجر الفلاسفة في 1997، وتُرجمت إلى معظم لغات العالم الحية ومنها العربية. بيع من الكتاب السادس هاري بوتر والأمير الهجين عشرة ملايين نسخة عشية صدوره، واعتبر أكثر الكتب مبيعًا في التاريخ، حتى صدور الكتاب السابع والنهائي من السلسلة هاري بوتر وآثار الموت الذي بيع منه ثمانية

ملايين نسخة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها عشية صدوره في 21 يوليو 2007..

هاري بوتر وحجر الفلاسفة

هاري بوتر وحجر الساحر، القصة الأولى من سلسلة هاري بوتر للمؤلفة البريطانية جيه كيه رولينج والتي تدور في مجمل أحداثها حول السحر من خلال الساحر الصغير هاري بوتر في إطار طفولي قليلًا ولكن من الممكن اعتبار السلسلة موجهة لجميع فئات العمر. صدرت لأول مرة في 30 يونيو 1997 في لندن تحت اسم هاري بوتر وحجر الفيلسوف ولكن عند صدور النسخة الأمريكية منها وأيضًا عند ترجمتها للعربية تم استخدام اسم الساحر على اعتبار أن الناشرين اعتقدوا أن الاسم الثاني هذا سوف يعطي تأثيرًا أقوى عند الجمهور في الولايات المتحدة. وبقية الأجزاء هي :

- هاري بوتر وحجرة الأسرار
- هاري بوتر وسجين أزكابان
- هاري بوتر وكأس النار
- هاري بوتر وجماعة العنقاء
- هاري بوتر والأمير ذوالدم الخليط

هوجمت السلسلة بشدة في الولايات المتحدة باعتبار أنها تشجع على الشعوذة والسحر وتخلق عالمًا غير مانعهده من نواميس الكون وتساعد على إزكاء الأفكار الشيطانية التي ولا ريب لها من الآثار السيئة على الأطفال ما لا ينكره إلا جاهل أو غافل.

- عشيق الليدي شاتيرلي د.هـ. لورانس: (ربيع مفتاح)

ولد لورانس في 1885 بإنجلترا، ابنًا لعامل من عمال المناجم.لم يتسن له أن يدرس بانتظام. إلا أنه استطاع أن يتعين معلمًا في إحدى المدارس.

توفي لورانس عام 1930 في جنوب فرنسا. وقد تم جمع أعماله الكاملة في تسعة أجزاء،خمسة منها روايات والبقية تضم أشعاره.وقد تم ترجمة كلها إلى معظم لغات العالم.

كتب لورانس القسم الأكبر من روايته (عشيق الليدي تشاترلي) في سويسرا.وقد أحدثت ضجة كبيرة في كل لغة ترجمت إليها هذه الرواية التي تتحدث عن عائلة حطمتها الحرب. فالزوج يعود إلى بيته وهو يعاني من العجز الجنسي.أما زوجته الليدي تشاترلي، فهي لا تزال في أوج شبابها وأنوثتها.لذلك لا تتردد في الانقياد إلى علاقة آثمة.

ليس في الرواية ما يمكن وصفه بالفضائحي أو الإباحي، ما عدا الوصف التفصيلي للقاءات الجنسية بين العاشقين.

رغم مرور أكثر من نصف قرن على وفاة الكاتب والروائي الإنجليزي دي اتش لورانس إلا أنه مازال يثير الجدل في كافة الأوساط الأدبية والفنية باعتباره مفكرًا جريئًا وروائيًا قد سبق عصره فكرًا وفنًا وحطم الكثير من التقاليد البالية، لقد هز لورانس وقار البرجوازية الإنجليزية بكتاباته الرائعة عن الجسد.

لقد أحس لورانس بغموض الجنس ورهبته وقوته وبأنه الحافز الأول الذي يدفع الحياة؛ إنه المشكلة التي درسها وأحسها ولمسها في بيئته، وهو الداء الذي رأى أنه يمثل الظاهرة الخطيرة في المجتمع الإنجليزي والذي يحدث كثيرًا من الانحرافات والتصرفات المرضية، وإذا لم يكن الكاتب مراه صادقة لعصره ومجتمعه وتجاربه الذاتية فلا قيمة لإبداعه الفني الذي يكتبه، إن الوجود الإنساني في كثير من الأحيان يكون عنيفًا وصارخًا بل ومدمرًا وواجب الكاتب ألا يهمله أو يتغاضى عنه، بل يجب أن يتعرض له ويعبر عن أجوائه.

إن الجنس في أدب لورانس جزء من حياة العصر الحديث المليء بمختلف أنواع الأحداث لكنه لم يكن هدفًا في حد ذاته، إنما

هـو وسـيلة للتعـرف عـلى أسرار الحقيقـة التـي تحـرك النـوازع والتصرفات وأنواع السلوك الإنـساني. إن لـورانس لم يكـن كاتبًـا جنسيًا بل اتخذ الجنس أسلوبًا لاكتشاف وتفهم روح الإنـسان؛ إنـه قناة العبور للولوج داخل هذا الكيان الإنساني المتشابك، إنه فرصة للتعمق داخل النفس البشرية بل تعميق الحياة الاجتماعية وتعريتها، فلا الجنس ولا الكتابة عن الجنس موضع اعتراض مـن أحـد كـي يتحدث عنهما من الناحية الأدبية والأخلاقية، إنما الاعتراض عـلى ابتذال الجنس والإتجار بـه في سـوق الملـذات والـشهوات واتخـاذه وسيلة للترويج باستثارة الغرائز وتحريض النزعات البهيميـة التـي يتساوى فيها الإنسان والحيوان ولكن السؤال لماذا يكتـب الكاتـب عن هذه المسائل؟ والإجابة: يكتب بهـدف التعـرف عـلى الحقـائق الإنسانية وتمثيل العيوب والنقائص ومواطن الـضعف في الطبيعـة البشرية.

إن العقدة النفسية التـي تولـدت في لـورانس كانـت بـسبب تعلقه الزائد بأمه وكان هذا التعلق انعكاسًا لحبها، حتى لقد طردت من حياته العاطفية كل عاطفة نحو امرأة أخرى وكان شبحها يقف بينه وبين كل فتاة يجذبه حسنها، فـإذا هـو يعجـز عـن الإحـساس نحوها بغير الحب الجنسي أما الحب القلبي الصافي كان واقفًـا عـلى

أمه دون سواها، وفي رواية «أبناء وعشاق»، يصور الكاتب الصراع النفسي الموجع الذي عاش فريسة لـه، بـين عاطفتـه القويـة لأمـه وعواطفه الجنسية الحادة نحو غيرها من النساء.

بعد ثلاثين سنة من وفاة لورانس عاد البحـث مـن جديـد في رواية عشيق الليدي تشاترلي عـلى نطـاق أوسـع ممـا كـان في حيـاة صاحبها، لأن الأمر بدأ في حياته وانتهى يومئـذٍ بتحـريم طبعهـا في البلاد الإنجليزية والولايات المتحـدة وتـم تهريبهـا للطبـع سرًا في المطابع الفرنسية والألمانية أما الآن اختلف الأمر.

لقد جازفت إحدى دور النشر بطبع أربعين ألف نسخة مـن الرواية وإعداد مائتي ألف نسخة ثم إصدارها، وقـد تمـت محاكمـة الرواية بعد أن قامت الشركة الناشرة باسـتدعاء الخـبراء والـشهود فاستدعت خمسة وثلاثين خبـيرًا مـن مـؤلفين وأسـاتذة جامعـات والنقاد والقراء والمثقفين وقد شهدوا بأنـه لا يوجـد في الروايـة مـا يمنع تداولها، وما جاء من مواقف جنسية لم يـأت مـن أجـل إثـارة الـشهوات ولم يتجـر الكاتـب بعـرض المنـاظر المحرضـة للغرائـز الجنسية ولكن كان هدفه الأول والأخير هو إبراز العيوب في الحياة الزوجية والعلاقات الاجتماعية من أجل علاجها وتدارك أسبابها.

- سيد الذباب، وليم جولدنج: (علي المناع)

كتب وليم جولدنج هذه الرواية عام 1954 وعنها حصل على جائزة نوبل في الآداب لكن الرواية المثيرة تعرضت للحظر والانتقاد حيث استخدم جولدنج مجموعة من الاطفال يفترض فيهم البراءة ليعض من خلالهم أفكاره فصور الأطفال في شكل متمرس ينافي الفطرة والسجية. يسوق المؤلف في أول أوّلُ فصول الرواية شكل الظرف الذي وضع صبية صغارهم لم يتجاوزوا العقد الأول من حياتهم، وكبارهم في سنيٍّ المراهقة وبواكيرها، في جزيرة خالية إلا من أشباح تتوهمها العقول الصغيرة وتحاول التشكك بوجودها عقول المراهقين، ظرف يتمثل في صبية غير متعارفين على متن طائرة تطيح بها عاصفة على شاطئ جزيرة، وينفق - على ما يبدو - طيارها، لتكتمل بذهابه مع مركزه وسنه أهمٌّ عقدة في حياة الصبية هي عقدة (الإمرة)، وليدعها لاختيار صغار ومراهقين خوت أفهامهم من التجارب إلا من النوازع النفسية المتباينة تباينًا حادًا.

إنَّ المغزى الرئيس لرواية «سيد الذباب» هو الصراع بين الخير والشر، إذ يتجلى هذا المغزى في عدة صراعات، أبرزها ذلك الذي يدور بين مجموعة رالف ومجموعة جاك، والآخر بين الأولاد

والوحش المُرعِب وكذلك بين فكرة الخلاص بواسطة أي سفينة مارة والبقاء في الجزيرة المُوحِشة، وغيرها.

ويهيمن الخير في بداية الرواية على الشر، فالقرشة مثلًا يوظفها المؤلف كرمزٍ للطاعة والنظام في المجتمع الذي جاء منه الأولاد. كذلك يقوم رالف بتنظيم بناء مأوى لهم، وإن وقع العمل على عاتقه هو وسيمون وحدهما. علاوة على ذلك قاموا أيضًا بإضرام النار كي يجذبوا انتباه السفن المارة. وقضى الأولاد معظم أوقاتهم منشغلين في اللعب في بداية الرواية، وبالكاد كانت هناك حوادث باستثناء النار التي راح ضحيتها الطفل ذو الوحمة، فمع «حكومة رالف الحميدة» كانت الهيمنة لجانب الخير.

ولكن الموقف أخذ بالتغير مع محاولات جاك للاستحواذ على الرئاسة، وعندما فشل في ذلك لجأ إلى تشكيل مجموعته، ومن ذلك الوقت بَزَّ جانب الشر في الرواية. والسبب وراء انضمام بعض الاولاد إلى جاك هو اصطياده الخنازير علاوة على أنه لا يكلفهم بأي عمل. رالف الذي يمثل جانب الخير في الرواية أصبح مشلول القرار ولا حول له ولا قوة تجاه جماعة جاك التي أخذت تكبر وتمتلئ بالغل، فبدأوا بسرقة نظارات بيغي تاركينه شبه أعمى، وعندما حاولت جماعة بيغي استعادة النظارات من جماعة جاك

تم قتل بيغي واحتجاز سام وإيرك، ولم ينصر جماعة الخير في الرواية إلا ظهور ضابط البحرية في نهايتها.

وهنا يحاول المؤلف، غولدنغ، إعطاؤنا تحذيرًا حول القوة الكامنة في الشر، إذ أنه يحاول أن يقول إذا تركنا الناس الأخيار بلا دعم ومساندة فسيهمن الأشرار عليهم، لذا يمكن أن تعتبر رواية «سيد الذباب» رواية تحذيرية تحث على التغيير قبل فوات الأوان.

أتى الأولاد من مجتمع يسود فيه النظام ويعدُّ معيارًا من معايير الحياة، لذا يحاول الأولاد جُلَّ غايتهم أن يستمروا في احترامه في بداية وصولهم الجزيرة. وفعلًا في بداية الرواية يعثر الأولاد على القرشة، التي يوظفها المؤلف كرمزٍ للنظام، فالأولاد لا يستطيعون أن يتكلموا في الاجتماع مالم يمسكوا القرشة وعليه أُرغِموا على احترام دور المتكلم مهما يكن.

وخير مثال على ذلك بيغي – الذي كان ضحيةً في الرواية من جوانب عدة – ومع ذلك استطاع أن يطرح أفكارًا ذكية أدت إلى تحسين مستوى معيشة الأولاد. وفعلًا تم أبعاد المراحيض عن مأواهم وتمت المحافظة على النار مشتعلة طوال الوقت بطريقة تدل على النظام. وصورة «البرلمان» في هذه الرواية تعكس حياة التمدن منذ عهد فيكنغ Viking وحتى يومنا هذا. والشكل الآخر الذي

أظهره المؤلف وعكس تقيد الأولاد بالنظام هو نظارات بيغي: فهذه النظارات تعود لبيغي، لذا عندما يحتاجها أيٌّ من الأولاد الآخرين - كأن يستخدموها في إضرام النار لأغراض الطبخ أو اجتذاب السفن - كان يجب عليهم أن يستأذنوا منه.

ولكن جاك قائد المجموعة الأخرى رفض أن يتقيد بالنظام واحترام حق بيغي في نظاراته، فقام بضربه في أحد المشاهد مما أدى إلى تكسير عدسة النظارة ومن ثم سرقتها من أجل إشعال النار، فبهذا الفعل اخترق جاك القانون ولم يتقيد بالنظام الذي حاول رالف وجماعته الحفاظ عليه والتقيد به. وعندما وصل الأولاد إلى حالٍ لم يعد بمقدورهم أن يتقيدوا بالنظام أصبح رالف لا حول ولا قوة وهيمنت قوى الشر.

كان غولدنغ مدرسًا في مدرسة بيشوب وردزورث لمدة تسعة أعوام قبل أن يكتب روايته، سيد الذباب، وفي تلك الأثناء لم يكن راضيًا على الطريقة المتبعة في تعليم طلبة المدارس الإنجليزية العامة التي تعدُّ التهذيب الصارم أفضل الطرائق لتهذيب الأطفال حتى يصبحوا أشخاصًا بالغين. وعندما يختار غولدنغ الجزيرة مكانًا لروايته فهو كأنَّما يشبهها بالمختبر الذي يمكنه فيه أن يحلل التوترات والمشاكل التي كانت موجودة في المدرسة، فعندما عمد إلى تخليص روايته من الكبار أراد أن يسمح للأولاد أن يتصرفوا بحرية كاملة.

فقد أظهر جاك – الذي يمكننا تخيله شخصًا متغطرسًا وبلطجيًا في المدرسة – في بداية الرواية بصورة الشرير الذي يحطم كل من غالف وبيغي ثم يتحول إلى ديكتاتور فيما بعد وينتهي به المطاف قاتلًا. وعلى النقيض من جاك، يظهر بيغي ضحية بلطجية جاك الذي قتله في النهاية. ففي الحقيقة ما يريد أن يقوله غولدنغ في روايته إنَّ هذه التوترات والمشاكل التي انتهت بكوارث يمكن تفاديها عن طريق بسط نظام تهذيب طبيعي في الحياة المدرسية لا بفرض نظام تهذيب صارم.

ويمضي غولدنغ قدمًا في استكشاف بعض المشاكل التي قد ترافق التهذيب الصارم، فعلى سبيل المثال خلت الرواية من أي تلميح -لا من قريب ولا من بعيد – إلى الحياة الجنسية للأطفال بل خلت حتى من أي عنصر نسوي، ولو تفحصنا الرواية بعناية لتبين لنا أن غولدنغ حاول ان يستعمل لغة مشحونة بإيماءاتٍ جنسية في بعض المشاهد، ففي صفحة 126 في مشهد اصطياد أنثى الخنزير، يظهر لنا غولدنغ كيف غالف كان يسعى جاهدًا كي يقترب من أنثى الخنزير ليأخذ منها قضمة لحم، وكأنه يصور لنا مشهد اغتصاب جماعي، ينتهي بسقوط انثى الخنزير في أحضان الأولاد.

فالجنس من المحرمات في المدارس لذلك أراد غولدنغ أن يعكسه أيضًا في روايته، فأظهر رغبة الأولاد الجنسية بطريقة مختلفة فقد أظهرها في صورة إيذاء الخنازير العزل وهو بذلك يجري مقارنة مع ما يجري في الحياة الواقعية فمعظم المغتصبين يقترفون جرهم نتيجة عدم قدرتهم لإشباع رغباتهم الجنسية بطريقة مقبولة اجتماعيًا وعرفيًا فيلجأون إلى طرق غير مشروعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه ها هنا هل كان غولدنغ محبطًا من النظام المدرسي الذي كان يدرس فيه؟ ليس بالضروري، فكما رأينا فطريقة تهذيب غالف وبيغي كانت إيجابية ولاسيما في بداية الرواية فعملية إضرام النار وبناء المأوى وغيرها من الأعمال كانت أعمالًا صالحة، ولكن المشاكل تتفاقم حينما يتعارض التهذيب الصارم الذي يفرضه المجتمع والتهذيب الذي يأتي بطريقة عشوائية نتيجة حرية مطلقة أشبه بالغوغائية، فما يحتاجه الأولاد هو توازن بين التهذيب الصارم والحرية، فغياب هذه الموازنة هو ما يحاول غولدنغ انتقاده في روايته.

- مدام بوفاري جوستاف فلابيرت: (د/ غالب سمعان)

منذ صدور هذه الرواية عام 1857 تعرضت للحظر والمنع في فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة لأسباب أخلاقية.

وحكايتها تدور حول السيدة (إيما بوفاري) باهرة الحسن والجمال التي شغفت بالروايات الرومانسية في فترة مراهقتها فأصبحت أسيرة لخيالها غارقة في الوهم ومنفصلة تمام الانفصال عن واقع القرية الرتيب. لقد نشأت (إيما) في مزرعة نائية وبعيدة عن كل متع الحياة التي تصطخب بها مدينة باريس فلم تجد منجى من هذا الملل المحيط سوى الغرق في عوالم الأدب الفسيحة، حتى جاءها الطبيب الشاب (تشالرز بوفاري (ليطلب يدها من والدها وينتشلها من المزرعة ومن الحياة المملة. لكن خيبتها ظلت ترافقها حتى مع زواجها إذ لم تعثر بعد على الحياة التي رسمتها في خيالها والتي تصورت أن الزواج سيأتي بها.

ينتمي الكاتب الفرنسي جوستاف فلوبير Gustave Flaubert (1821-1880) إلى المدرسة الواقعية في الأدب، وعادة ما يتم النظر إلى روايته المشهورة (مدام بوفاري Madame Bovary)، وفي رواية (مدام بوفاري)، يصور جوستاف فلوبير التطورات الطارئة على بطلة الرواية، إيما بوفاري، من الناحيتين

السيكولوجية والأخلاقية، وبالإضافة إليها كنموذج بشري أنثوي، عادي، فإنه يصور طبائع وأمزجة عدد من الشخصيات الأخرى، وكلها نماذج عادية، تحيا في الواقع الاجتماعي، وتنتمي إلى الطبقة الوسطىMiddle-class ولها اهتماماتها، وأهدافها، ومشاريعها العادية.

ومما تتصف به بطلة الرواية إيما بوفاري، ميلها إلى التعالي الذاتي، على الطريقة الرومانتيكية، وكانت قراءاتها في الأدب الرومانتيكي، واطلاعها على رواية (بول وفرجيني Paul and Virginia)، للكاتب الرومانتيكي برناردين دو سان برنار (1737-1814)، بالإضافة إلى أشعار ألفونس دو لامارتين (1790-1869) العاطفية، والحكايات التاريخية للكاتب الإنكليزي سير والتر سكوت (1771-1832).

قد أدت إلى تعلقها بهذا النوع من الأدب، وإلى ميلها إلى الارتقاء بذاتها، والتطلع بأمل، إلى المستقبل، والنفور من الحاضر، الذي يتصف بالافتقار إلى الفاعلية، والنشاطية. وإن زواجها من الطبيب التقليدي شارل بوفاري، أدى إلى زيادة إحساسها بالفراغ، ورغبتها في الانعتاق من القيد الاجتماعي، الذي يكبلها، ويمنع روحها من التعالي والارتقاء.

والواقع أن شارل بوفاري على درجة كبيرة من المحدودية، على كل المستويات، الفكرية والشعورية، وهو على دراية بأن زوجته تتفوق عليه، من الناحية الجوانية، إلى الحد الذي يجعله يرتبط بها، ارتباطًا وجدانيًا وثيقًا، يبدو على حقيقته في آخر الرواية، عندما تصل إيما بوفاري إلى نهايتها التراجيدية، فتقرر الانتحار، بعد إخفاقها في إيجاد الحبيب، الذي تتطلع إليه نفسها، وبناء العلاقة الغرامية، التي تتوق إليها روحها، المتعطشة للحب، وهو ما يؤدي بزوجها شارل بوفاري، إلى الموت حزنًا وكمدًا، على زوجته الراحلة، هذا مع علمه بخياناتها المتكررة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنها تعلن، قبل وفاتها، حبها له، مما يدل على أن مشروعها الرومانتيكي، قد أخفق إخفاقًا تامًا، إلى الحد الذي جعلها تعود إلى زوجها الشرعي، عودة أشبه بعودة التائب، الذي يحاول الانعتاق من الأخطاء، التي ارتكبها، وتوجب عليه أن يدفع لقاءها، ثمنًا باهظًا.

-الحرف القرمزي ناثنيال هاوثورن:

يشير كاتب الرواية في مقدمته لها إلى واقعية القصة بمعنى أنه نسج القصة من خيوط أحداث حقيقية من خلال مخطوطة صفراء قادته الصدفة اليها أثناء عمله بالجمارك بولاية ماساشوشيتس.

وبالرغم من النجاح الذي حققته الرواية فقد تعرضت لحملة عنيفة قادها رجال دين ومصلحون اجتماعيون وكلهم وجدوا أن الرواية تشجع على الفسق والرزيلة والخيانة الزوجية وتنفي النخوة والشهامة، زد على ذلك عشرات من كلمات السباب والإثارة.

استير برين، امرأة شابة تعيش في بوسطن في القرن السابع عشر، يتم اقتيادها من سجن البلدة مع ابنتها الرضيعة بيرل فيما علق صدرها حرف «أ» القرمزي اللون (كان يستخدم للإشارة إلى أن حامله شخص فاسق). وسط تجمهر الناس يظهر كهل ليحثهم على معاقبتها بسبب ارتكابها جريمة الزنا.هذا الكهل هو روجر زوجها الطبيب والذي كان قد أرسلها إلى أميركا قبله، ولكنه لم يصل قط إلى بوسطن وقد شاعت أخبار عن فقدانه في عرض البحر. في هذه الفترة حملت إستير ولكنها لم تكشف عن هوية عشيقها ووالد طفلتها. تعيش إستير وابنتها بيرل منبوذتين من المجتمع في كوخ صغير في قرية بعيدًا عن بوسطن.

تحيط إستير الملايس وتعيش حياة هادئة وتزور بشكل متكرر شخصًا يدعى ديميسديل الأب الحقيقي لابنتها والذي يرفض الاعتراف بها. تبرع إستير في عملها وتصبح تدريجيًا محط احترام نساء القرية.

تبدأ بعض النسوة بالحديث معها كما تقوم برعاية بعض المسنين الذين يحتاجون إلى رعاية. يمرض ديميسديل بشكل متكررو يذهب روجر بحجة تمريض ديميسديل ليعرف حقيقة هذا الرجل وطبيعة علاقته بامرأته وبعد فترة يدرك أن شكوكه في محلها. تخبر إستير ديميسديل بماهية روجر ويقرران ترك بوسطن معًا. يحجز الاثنان تذكرة على سفينة تغادر إلى أوروبا بعد بضعة أيام ويقرران العيش هناك كعائلة. يعلم روجر بالأمر ويحجز تذكرته على نفس السفينة.

في اليوم التالي يلقي ديميسديل موعظته الأفضل للناس والتي تترك فيهم أثرًا كبيرًا. لدى عودته إلى المنزل بعد القداس يرى إستير وبيرل وفي حركة تلقائية يذهب باتجاههما ويقبّل بيرل ثم يعلن رسميًا أنها ابنته ثم يسقط صريعًا. تخيب آمال روجر بالنحو الذي جرت عليه الأمور والتي لن تمكنه من الانتقام من إستير أو ديميسديل. يرحل روجر عن القرية ويتوفى بعد ذلك

بعام. لم تغير وفاة ديميسديل من خطة إستير فترحل مع بيرل إلى أوروبا. لم يسمع أي شخص في بوسطن أخبارهما بعد ذلك ولم يعرف ما حل بالاثنتين. في أوروبا تعمل إستير بكد وترسل إستير إلى أفضل المدارس. تكبر بيرل لتصبح آنسة جميلة وذكية ومهذبة وتقابل رجلًا ارستقراطيًا وتتزوجه. تعيش بيرل مع زوجها وأولادها في أوروبا وتراسل والدتها بشكل دوري. في أحد الأيام، تعود إستير إلى نفس القرية في بوسطن وتعيش في نفس الكوخ. ترتدي إستير ذات حرف الـ «أ» القرمزي ثانية. عندما تموت، تدفن بجانب ديميسديل وقد حفر حرف الـ «أ» على قبر الاثنين.

- يوليسيوس، جيمس جويس: (رشا المالح)

أشهر القصص التي منعت، وأثار منعها ضجة، هي «يوليسس»، أو «عوليس» كما سماها العرب للأيرلندي جيمس جويس،وقد كتبها جويس في 1914 وظهرت في فرنسا عام 1922 وتعد بالنسبة للغالبية العظمى من النقاد أهم عمل أدبي في القرن العشرين أو ملحمة القرن العشرين كما يحلو لهم تسميتها.

تدور أحداث الرواية في يوم واحد هو 16 يونيو 1904 في مدينة دبلن حيث ينتقل شخوص الرواية «بلوم» اليهودي وزوجته «مولي» وعشيقها «بوليان» من حانة لأخرى ومعهم الرغبات والحكايات الجنسية.

ترمز القصة إلى مسيرة الإنسان التائه في سعيه اليومي، حوّلها جويس إلى أسطورة الشخص العادي في الحياة، وقدم فيها كل ما جمع البشر من معرفة حتى يوم كتابتها. القصة بسيطة ومعقدة في نفس الوقت، لأن فيها تشابها مع قصص إغريقية قديمة مثل حكايات أوديسيوس الذي ظل تاهئها لعقد من الزمان، وفيها تشابه مع حياة المؤلف الشخصية.

وبسبب ماتعج به الرواية من عبارات الفحش الخادشة للحياء فقد منعت في أميركا، ورفضت إدارة البريد الفدرالي نقل القصة لأكثر من عشرين سنة من صدورها ووصفوها بأنها داعرة.

ترجم الرواية للعربية الأستاذ/ طه محمود طه وظهرت ترجمة أخرى للأستاذ صلاح نيازي الذي ينصح بعدم قراءتها دفعة واحدة أو بدفعات كبار فتصاب بالتخمة. لا مفر من التعامل مع هذه الرواية على أنها مركبات أدوية، الإكثار منها يؤدي إلى عطبك. قراءة مقطع، التأمل فيه، التمعن في أبعاده، ثم إعادة قراءته مرات ومرات، ولا يمكن الانتقال إلى مقطع آخر دون التأكد من هضم المقطع الأول.

جيمس جويس (2 فبراير 1882) كاتب أيرلندي أطلق عليه «القديس المهرج». ولد بدبلن. في عام 1903 ذهب إلى باريس لدراسة الطب، وفيما بعد تدرب على الغناء. من مؤلفاته مجموعة شعرية (1907)، ومجموعة قصص قصيرة بعنوان «أهالي دبلن» (1914)، و«صورة الفنان في شبابه» (1917). أقام في باريس من عام 1920 وحتى عام 1940 حيث عاد إلى زيورخ، ومات هناك في يناير 1941.

- أكثر العيون زرقة، توني موريسون: (نضال القاسم)

تدور أحداث الرواية عام 1940 بالولايات المتحدة. «أكثر العيون زرقة» قصة حزينة لفتاة سمراء تدعى بيكولا بريدلف التي تتمنى الخروج من جلدها إلى البشرة البيضاء والعيون الزرقاء بسبب الإحباطات المستمرة التي تواجهها في المجتمع العنصري. وبينما تصل أمها إلى منطقة السلام النفسي والتوافق وقبول الأوضاع فتحصل على وظيفة خادمة بمنزل أسرة بيضاء يقوم الأب تحت تأثير الشراب باغتصاب بنته بيكولا التي تحمل ثمرة هذه الفعلة الشنيعة في أحشائها فتصاب بالجنون وتداوم على ترديد مقولة واحدة: «الدي عيون زرقاء».

تعرضت الرواية للمنع أكثر من مرة في الولايات المتحدة بسبب مشهد اغتصاب الأب لابنته وبسبب مشهد آخر يصل إلى مسامع بيكولا فيه أصوات أمها وأبوها خلال معاشرته لها في حجرة مجاورة.

حصلت الأديبة الأمريكية السوداء توني موريسون واسمها الأصلي هو (كلويه أنطوني ـ دفورد) على جائزة نوبل للأداب عام 1993، لكتاباتها التي تغوص عميقًا في اللغة في محاولة لتحريرها من القيود العرقية والإثنية، وهي لغة موحية معبرة تنطوي على حس شعري عال، وكان فوزها في حينه يعني فوز المبدعات الزنجيات جميعًا، حتى أصبح عام 1993هو عام توني موريسون بحيث أنه لم يلتفت أحد إلى كرة القدم أو إلى المطربين وباعة المارجوانا، فقد غلب فوزها بجائزة نوبل على أحداث ليست قليلة.

بما في ذلك أخبار الساسة ورجال المال، وقد حاولت الكاتبة من خلال رواياتها تحقيق الذات لكل الأميركيين من أصل إفريقي باللجوء والعودة إلى الجذور، وهي كاتبة أدبية من الطراز الأول، تدرك معنى الحرية ومعنى الهم الإنساني. ولقد ضربت موريسون على وتر اللغة، وعلى التخييل، وعلى الميثولوجيا، بغية البرهنة على الغنى العظيم في التراث الأسود ذي الجذور الممتدة في إفريقيا

وأمريكا الجنوبية التي استنشقت عبق الهنود الحمر واستكنهت سحرهم. وتوني موريسون من مواليد لورين في ولاية أوهايو في الولايات المتحدة الأميركية في 18 فبراير عام 1931، وهي تقول عن نفسها: «إنني من مواليد كليفلاند، جذوري تعود إلى الجنوب، هرب أهلي من الاسترقاق في القرن الماضي، كان الصراع بين التكيف مع الواقع الأبيض والحفاظ على الهوية السوداء هاجسي دائمًا»، وهي الثانية بين أربعة أشقاء وشقيقات لعائلة سوداء من الطبقة العاملة، لكنها عائلة مثقفة، فقد كان جدها عازفًا موسيقيًا وأمها كانت مغنية في كنيسة الحي، أما أبوها فهو حداد.

ولقد أظهرت الطفلة توني ميولًا أدبية منذ نعومة أظفارها، وقد اطلعت على كلاسيكيات الأدب الفرنسي والإنجليزي والروسي، وقد تابعت دراستها في الإنسانيات والآداب في جامعتي «هاورد» و«كورنيل»، فقد تخصصت بالقانون بجامعة «هوارد» ثم درست الآداب عام 1953 وتابعت تحصيلها الدراسي لتحوز شهادة بعلم النفس عام 1955 وعملت في جامعات عدة مثل «الجامعة الجنوبية في تكساس» و«هاورد» و«ييل»، كما عملت أستاذًا للإنسانيات في جامعة «برينستون» في يوجيرسي، حيث نالت درجة الأستاذية وحصلت على مقعد.

كما عملت كناقدة وألقت العديد من المحاضرات العامة المتخصصة في الأدب الإفريقي الأمريكي، وبعد حياة زوجية قصيرة مع هارولد موريسون المعماري المشهور تطلّقت توني عام 1964 لتعمل كمحررة أدبية في مؤسسة راندوم للنشر. وكان أول ظهور روائي لها في العام 1970، حين نشرت رواية (العين الأكثر زرقة The Bluest Eye)، حيث أثارت هذه الرواية في حينه اهتمام النقاد والجماهير العريضة من القراء ومحبي الأدب لما فيها من حس ملحمي واضح وحوارات متماسكة وتصوير شاعري لدقائق حياة المجتمع الأمريكي الأسود. حيث تصور الرواية أن النساء يتسمن بالجمال والحسية والغريزة المتقدة، ومع ذلك فإنهن يعانين من افتقاد ملحوظ لعلاقة كاملة مع طرف آخر، ولقد بدأ هذا واضحًا من خلال القزمة الزنجية بيكولا بريدلف .

وفي هذه الرواية تتحدث موريسون عن الاغتراب الذي تشعر به طفلة سوداء في مجتمع يغمره سحر الشعر الأشقر والعيون الزرقاء، حيث كان هذا الهاجس عنيفًا على الطفلة إلى درجة أنها بلغت في لاوعيها عالمًا خرافيًا كانت هي محوره بسبب الزرقة التي راحت تشع من عينيها الزرقاوين، زرقة تخطت كل ما كانت تراه لدى الأخرين، لكنها لم تجد في الواقع من هو معجب بزرقة عينيها

سوى شقيقها. ولابد من القول أن هـذه القزمـة، التـي سيتكرر ظهور مثيلة لها في روايات أخرى للكاتبة، لا تعـاني فقـط مـن أنهـا ضئيلة الجسم، بل لأنها زنجيـة، ومـن أجـل أن تهـرب مـن عالمهـا البشع فإنها تدخل في متاهـات مـن الأحـلام، وتـرى نفـسها وقـد أصبحت شقراء مثل الممثلة الطفلة شيرلي تمبـل، أو زرقـاء العينـين مثل الأطفال البيض.

وفي كل أعمالها لم تكف هذه الروائية المبدعة من ابتكار أنماط جديدة وغير مطروقة في الكتابة الأدبية، فظلت أعمالهـا تنـأى عـن المألوف وتخلق إيقاعها الخاص، وظلت طيورها دائمًا تحلـق خـارج سرب النمطية، وظلت معتصمة برؤاها التـي تحـض عـلى ضرورة استيعاب أن العنصرية لا يمكنها أن تندثر بالشعارات الرّنانة.

وفي كل رواياتها، نحن دائـمًا أمـام نفـس المـرأة الزنجيـة مـن خـلال ثلاثـة أجيـال مـن النـساء، الجيـل الأول عـاش سـنوات العبودية، أو قارب ذلك، أما بنات الجيل الثاني فيحاولن نسيان هذا الزمن ويصنعن عالمًا خاصًا يحاولن من خلاله صناعة هويـة ثقافيـة واجتماعية خاصة مثل موسيقى الجاز، أما بنات الجيل الثالث فهـن أكثر تحررًا وسعادة، لكنهن تبعًا للعصر أكثر معاناة، ولذا فـرغم أن المـاضي بـالغ القـسوة فإنـه أكثـر رحمـة مـن الواقـع الـراهن،

وعليه فإن روايات توني موريسون مليئة بالحنين إلى سنوات العشرينيات. عبر هذه الأجواء، وفي صخرها الصلد أنشبت توني موريسون مخيلتها، وأعلت من شأن الإنسان في اصطدامه المباشر بالعبودية، التي ما تزال تربض بثقلها الدامي على صدور شعوب كثيرة في هذا العالم، فتدمي أرواحهم، وتشل قدراتهم في دفع البشرية نحو الانعتاق من أسر التفوقات الموهومة التي كرستها سلطة الرجل الأبيض على امتداد تاريخ مليء بقيم الاسترقاق وثقافته.

وفي إحدى المرات صرحت توني بقولها (أنا لا أكتب انتقامًا من العنصرية بل لتغيير اللغة إلى لغة لا تنتقص من الناس، لا أحمل سيفًا، ولا أبتغي رد المظالم، أريد ملء الفراغ بصوت النساء السوداوات).

- اللون الأرجواني، أليس وكر: (مريم جمعة)

ولدت أليس وولكر في ولاية جورجيا 1944، من أبوين يشتغلان بالزراعة وإنتاج الألبان، أكملت تعليمها العالي في كليات مختلفة، كما درست الأدب وطرق الكتابة،تكتب المقالة والشعر والرواية وقصص الأطفال،أصيبت في إحدى عينيها إثر حادث وهي في الثامنة، ناضلت طويلًا من أجل الحقوق المدنية للسود

في أمريكا، من أشهر رواياتها (اللون الأرجواني) 1982 التي أخرجها ستيفن سبيلبيرج للسينما،أوسكار1987، نالت جائزتي بوليتزر والكتاب العالمي.

تدور أحداث القصة حول الفتاة سيلي التي تعاني القهر والفقر ويعتدي عليها أبوها مرتين وينبت في أحشائها ثمرة محرمة نتيجة هذه الفعلة ثم يتم زواجها إلى أرمل وأب لعدد من الأطفال وتأتي أختها لتعيش معها لكن الزوج الدنيء يحاول التحرش بها وهكذا سلسلة متصلة من الغثيان الذي كتب على بعض البشر أن يحياه.

في سنة 1983 حصلت ووكر على جائزة (بوليتزر) عن روايتها (اللون الأرجواني) التي وصفها عدد من النقاد بأنها إحدى روائع الأدب الأمريكي المعاصر التي تضع مؤلفتها في مرتبة فوكنر، وإلى جانب النجاح الكبير الذي حققته الرواية على صعيد تقنيتها الفنية وعناصرها القصصية الأخرى.

فإن (اللون الأرجواني) عمل إبداعي يهتم بالبحث في قضايا مهمة تتعلق بحقوق المرأة وتحفل بهذا النوع من المعاناة التي تجسدها تجربة امرأة سوداء تعاني من الظلم وتتعرض للإيذاء الجسدي بالإضافة إلى معاناتها الشخصية جدًا من الجهل ومن

خلال سعيها إلى تحسين أوضاعها تتمكن المؤلفة من نقل صورة تعمد عن طريقها إلى إثارة السؤال حول عدد من القضايا التي تهم المرأة. مما يلفت الانتباه إلى ووكر في (اللون الأرجواني) تلك العناصر الروائية التي تتعلق بعمق وقوة شخصياتها النسائية المختارة إلى جانب اختيارها الدقيق للغة شديدة الارتباط بالبيئة الاجتماعية التي تنتمي إليها الشخصيات على نحو يجعل القارئ سريع التأثر بعامية أهالي الجنوب.

في الرواية تسلط المؤلفة الأضواء على حياة امرأة شابة هي (سيلي) التي تخوض تجربة فريدة لتعلم الحب ثم تخلص إلى عدد من النتائج التي تتراوح مابين الشعور بالانتصار والهزيمة دون أن يعيقها ذلك عن مواصلة البحث عن السعادة الحقيقية كما تسميها.

وهنا تلجأ المؤلفة إلى اعتماد نوع آخر من أنواع السرد القصصي يتمثل في كتابة الرسائل حيث لا تجد البطلة بدًا من تعلم القراءة والكتابة وهو ما يبدو وكأنه يعادل لديها اكتساب مهارات جديدة كالقدرة على الدفاع عن النفس أو القدرة على الحب ومن خلال عدد من الرسائل التي تبعث بها إلى (الله) وإلى (أختها) المغتربة، الطرفين اللذين ترى أنهما مسئولان عن شعورها بالأمل

والأمان يدرك القارئ المغزى الأساسي لتلك الأعمال الروائية والقصصية المدهشة التي تخصصت أليس ووكر في كتابتها.

لكن ما يحمل القارئ على الدهشة بمعناها الحقيقي هو أن ووكر مؤلفة متميزة تنجح في النهاية في استدراج القارئ بالنظر إلى الأمور بمنظورها هي فيجس إيقاع الألم في لحظته ويفكر في مشاركة بطلتها حتى إحساسها الجارف بالرغبة في البكاء بعد تعرضها للإيذاء الجسدي ثم يتحول إلى الشعور بالرغبة في الابتسام. ساعة خلاصها من المعاناة وإصرارها على مواصلة الطريق وباقترابها من النهاية يتأكد للقارئ أن سيلي كانت في الواقع تنجح في كل لحظة من لحظات تلك التجربة في التحول إلى النموذج الإنساني الذي كانت تحلم بأن تكون حين تطالعه صورة المرأة العاملة التي تتمكن بقوة من استعادة أطفالها وتصبح نموذجًا يحتذي به العديد من النساء اللاتي كن يتحلقن حولها وهو أيضًا ما سيعتقد في النهاية أن ووكر أيضًا كانت تأمل في الوصول إليه وأن فهمه لا يتسنى إلا للقارئ الأكثر نضجًا.

- لوليتا، فلاديمير نابوكوف: (كريم السماوي)

من يقرأ رواية «لوليتا» للكاتب الروسي « فلاديمير نابوكوف» يشعر بالحنق رغم فرادة أسلوب الكاتب ولغته وتقنيات

السرد لديه التي تم انجاز الرواية بها، ولا يفوت القارئ أن يعرف أن نابوكوف قد استحق بعد تقديمه لـ لوليتا أن يصبح روائيًا عالميًا لما تضمنته من أجواء غرائبية، وعمق وجرأة في الكشف عن خفايا عالم الرجل السرية والتي طرحها بأسلوب فني بلغة شعرية عالية، ولم يفته أن يقدم تفسيرًا سيكولوجيًا يجعل القارئ يشعر بأن من قام بتأليف هذه الرواية لابد أن يكون عالمًا نفسيًا أو طبيبًا، لدقة المعلومات التي قدمها نابوكوف في وصف معاناة بطل الرواية في عشق فتاة لم تتعد الثانية عشرة من العمر، وارتكابه سلسلة من الجرائم الأخلاقية في سبيل الاحتفاظ بلذة العشق الأول التي أحس بها تجاه أول فتاة أحبها في طفولته.

رواية لوليتا أثارت ضجة كبيرة في الوسط الثقافي الغربي ورفضت كثير من دور النشر طباعتها، ولم تلق أي قبول من الناشرين في بادئ الأمر حتى قبلت دار نشر فرنسية بطباعتها بعد 3 سنوات من إنجازها، وحين تم توزيعها شن عليه القراء والنقاد هجومًا شرسًا ومنعت الحكومة الفرنسية عام 1956 الرواية من المكتبات ثم رفع الحظر عنها بعد سنتين، ونشرت الرواية في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1958 ووجدت ترحيبًا كبيرًا من قبل النقاد الأمريكيين ورد الاعتبار لها بعد أعوام طويلة، حيث

اكتشفت أهميتها وقيمتها الأدبية التي رفعت من أسهم نابوكوف وصنعت له الشهرة مقارنة ببقية أعماله.

«لوليتا» رواية رفضت أربع دور نشر أميركية نشرها بحجة أنها جريئة ومخلة بالآداب مما حدا بمؤلفها المقيم حينها في أميركا إلى طباعتها في فرنسا سنة 1955، طبعت في «دار أولمبيا برس» التي اشتهرت حينها بنشر الأدب الإباحي. ولكن الرواية وبعد ثلاث سنوات طبعت في أميركا وتصدرت قائمة المبيعات ستة أشهر وتفوقت آنذاك حتى على رواية «الدكتور زيفاجو» لمؤلفها الروسي باسترناك.

ومؤلف رواية لوليتا هو الروسي فلاديمير نابوكوف المولود سنة 1899 والذي كتب رواياته الأولى باللغة الروسية ثم راح يكتب باللغة الإنجليزية ومنها روايته لوليتا التي تدور أحداثها في أميركا، هذه الرواية التي أدخلته عالم الشهرة والمال بعد أن طبع منها 50 مليون نسخة، وبعد أن حصل على ثروة كبيرة من روايته لوليتا ترك مهنة التدريس وأقام في سويسرا. حولت الرواية إلى فيلمين الأول سنة 1962 والثاني سنة 1997.

وبطل رواية لوليتا «همبرت همبرت» الأوروبي أو اختصارًا «هـ، هـ» يروي حكايته عبر مذكراته من داخل السجن، رجل في

الأربعينيات من العمر غير أنه مولع بالفتيات الصغيرات التي تتراوح أعمارهن بين التاسعة والرابعة عشرة ويعزز رأيه قائلًا :

إن القانون الإنجليزي المصدّق عليه عام 1933 يعرف الفتاة الصغيرة بأنها إحدى الغلامات اللواتي تزيد سنهن على الثمانية أعوام وتقل عن الأربعة عشر. ويرى في هذه الأعمار: الحدود الطبيعية للشواطئ المتماوجة والصخور المائية الوردية لتلك الجزيرة المسحورة الضائعة في محيط ضبابي تتردد عليه جنياتي .!

وهو يروي أسباب ولعه ذاك بعد أن تعرف على لوليتا أو «دولوريس هاز» ابنة الاثني عشر ربيعًا: وأتساءل إذا ظهرت هناك في ارتعاش ذلك الصيف البعيد، أول فجوة في حياتي، أم أن رغبتي المطلقة في تلك الغلامة لم تكن إلا العلامة الأولى التي تكشف عن انحراف طبيعي يلازمني منذ خلقت؟!.. أترى أمّنا الطبيعة قد دربتها من قبل على الفتنة ؟ ..!

كنت أبدو في علاقاتي الصحية مع النساء عقلانيًا، ساخرًا، وموجزًا. وطويلة هي لائحتي التي تسرد هذه الأقاصيص الناقصة وهذه الغراميات ذات الاتجاه الواحد. وأحسب أنكم بدأتم ترون أني على حافة الأزمة.

ولكي يصل «هـ، هـ» الأرمل إلى لوليتا لم يتورع من الاقتران بأمها الأرملة شارلوت هاز. وبذلك يكون قد قهر القدر ووصل

إلى لوليتا. ولن استطيع أن أصف لكم إلى أي حد كانت زوجتي مخلصة ومؤثرة .

قالت له «لوليتا»: اسمع! إن أمي سيجن جنونها إذا عرفت أني عشيقتك، وذلك قبل أن تمرض الأم شارلوت وتموت ويصبح «هـ. هـ» هو الوصي: لقد كنتُ صديقًا يقظًا، وأبًا مهووسًا، واختصاصيًا بارعًا في أمراض الأطفال. ولولاها لما كان باستطاعتي أن أقاوم أكثر من بضعة أيام ولما كان باستطاعتي أن أنتزع الحب منها بالقوة.

سمحت «للو» بتلقي دروس في البيانو بحجة أن ذلك ينسجم مع حبها للمسرح والرقص. وحين سمحت لها بتعلم فن التمثيل، إنما سمحت لها في الوقت نفسه أن تبرع في فن الخيانة. واستفظعت رغبتها بترك المدرسة. وتمنيت اجتياز حدود المكسيك وهناك أقرر مصيري مع خليلتي التي أصبح طولها ستين بوصة ووزنها أربعين كيلو. اختفت دولوريس فكنت أحلم قليلًا أو كثيرًا بلوليتا كما أتذكرها وكما كانت تحاصر بلا هوادة ذهني الواعي أثناء كوابيس النهار وأرق الليل، والحق أنها كانت ترهقني أيضًا في نومي، غير أنها لم تكن تظهر لي آنذاك إلا متنكرة بطريقة غريبة ومضحكة.. كان لابد من البحث عن الخائن الذي غرر بها، وحين

عثرت عليها كانت متزوجة منه، انتصبنا وجهًا لوجه كما لو أنها لم تكف قط عن أن تكون لي.

لم أكن أستطيع أن أقتلها هي، لقد كنت أحبها من اليوم الأول وسأحبها إلى آخر يوم.. حتى الأزل. إن ديك لم يكن مطلعًا على شيء، وكان يتصور أني كنت أباها، إنه الرجل الوحيد الذي أحبته حقًا وكانا سعيدين معًا، فما كانت حاجتي لأن أعقّد حياتهما إذ أحرك كل هذا الوحل؟ ألم تكن تلك الحياة معقدة بما فيه الكفاية؟.. كتبت هذه المذكرات لغاية واحدة هي أن أسقط الثمرة الناضجة في اللحظة المطلوبة. فهذا الرجل الأربعيني الضعيف المزعج قليلًا، والمربك الجالس على مقربة منها في معطفه المخملي الأنيق كان قد عرف وعبد كل ذرة فيها .

ديك، هذا أبي!.. هكذا قدمتني له. أما أنا فكنت أراها (حبيبتي لوليتا) وقد ذبلت في السابعة عشرة ذبولًا لا شفاء له، وهي تحمل في بطنها هذا الطفل.

أريد أن تتركي «ديك» هذا العارض وهذا الكوخ البائس وأن تأتي لتعيشي معي، وتموتي معي، وكل شيء معي. هكذا قلت لها حين خلوت بها وعندما رأت دموعي المحرقة قالت: أوه، لا

تبكِ بعدُ، أنا خجلة جدًا لأني قد خدعتك هكذا، ولكن هكذا تمضي الحياة. أخذتُ من جديد أبكي وأنا ثمل بماضي الخيالي . .

وبدا لي من الحكمة أن أتحقق من سلاحي، فربما كان عرقنا المختلط قد أفسد شيئًا ما. وسألته عما إذا لم يكن له شيء هام يريد أن يقوله قبل أن يموت ورششته بالرصاص عبراللحاف فاسترخى إلى الخلف. كنت أفكر باستعمال هذه الملاحظات بجملتها في أثناء محاكمتي، لا لأنقذ رأسي، بل لأنقذ روحي.

- الأحمر والأسود، ميري هنري بيلي «ستيندهال»:
(سامي دقاقي)

يعتبر ستندال من بين أهم الأدباء الواقعيين في القرن 19م، إلى جانب أسماء أخرى من قبيل: بلزاك وهوجو وغيرهما، وقد قال عنه أحد المفكرين: «لا يوجد من استطاع أن يعلمنا كيف نفتح عيوننا وننظر أفضل من ستندال».

ولد ماري- هنري بيل، (أو ستندال، وهو بالمناسبة اسم مستعار استعمله الكاتب) في فرنسا في 1883، وتوفي في باريس سنة 1842.

بعد أن أمضى في إيطاليا سبع سنوات متابعًا اهتمامه بالفن، والأدب، والموسيقى، أجبر على تركها سنة 1821، لأنه كان

حسب تقارير البوليس النمساوي «عدوّا للدين، ولا قيم له، وخطرا على النظام».

كرّس نفسه للكتابة الجادّة في باريس ما بين 1821 إلى 1830، بما في ذلك الكتابات النقديّة في الصحف البريطانية، والسيرة الذاتيّة، والرواية، عين قنصلًا لفرنسا في تريستا، وبعدها في ميناء صغير على مقربة من روما، وذلك في أعقاب ثورة 1830، ويقي هناك إلى حين وفاته. وقد لعبت الحقبة النابليونيّة دورًا كبيرًا في تكوين شخصيته، وانعكست في رواياته كلها تقريبا، بل إن حياة ستندال كانت تمشي جنبًا إلى جنب مع حياة نابليون، إن ما يهمنا هنا، وبعد هذه النبذة الموجزة عن مضمون الرواية هو مقاربة الأسئلة التالية: إلى أي حد استطاع ستندال أن يكشف الوجه الحقيقي لإنسان القرن 19 الفرنسي؟ وهل تمكن من رصد مظاهر الزّيف والنفاق، وادّعاء المكانة والحصانة الاجتماعيتين والسياسيتين، اللتين تخفيان وراءهما خواءً ثقافيًا وأخلاقيًا ودينيًا فادحًا؟ ثم إلى أي حد كان ستندال بارعًا في بث أفكاره ومواقفه من مجتمع القرن19؟ وهل تحقق لرواية الأحمر والأسود- فعلًا- ما قيل عنها من كونها أوّل تراجيديا عصرية بأسلوب روائي، وأول

كوميديًا لاذعة؟ وقد ارتأينا في قراءتنا المتواضعة هذه، المرور عبر النقط التالية:

- «الأسود» في رواية ستندال، أو مظاهر الحياة الدينية في المجتمع الفرنسي إبان القرن19: لقد ابتنى ستندال شخصية بطل روايته بناء سايكولوجيًا محكمًا، وجعلها تنطوي على مظاهر الخبث والاحتيال، رغبة منه في تمزيق القناع الذي يلتحم به إنسان المجتمع الفرنسي، فالدين ليس إلا وسيلة لتحقيق المآرب وتفادي الضرر المادي والمعنوَي.

- «الأحمر» في رواية ستاندال، أو مظاهر تأثير الحياة العسكرية على الحياة العامة في مجتمع القرن19: لم يخفِ ستندال تعلق وهيام إنسان المجتمع الفرنسي بالحياة العسكرية باعتبارها مظهرًا من مظاهر السلطة والوجاهة الاجتماعيتين، ومجلبة للاحترام والحب والرهبة في نفس الآن، ويظهر ذلك من خلال استحضار النموذج العسكري التاريخي (نابليون)، فقد عمر ستندال قلب بطله بهذه الحياة وهذا النموذج «في جميع مراحل شبابه الوردية كان قد تخيل بأنه ما من سيدة حقيقية ستتكرم بالحديث معه إلا بعد أن يلبس البزة العسكرية».

ـ الميكيافيلية تبرر الانتقال بين «الأحمر» و«الأسود» في مجتمع القرن19:

بعد الوقوف على الحياة الدينية والعسكرية في «الأحمر والأسود»، بقيت الإشارة إلى مظاهر التأرجح والتقلب التي عاشها بطل الرواية بين تينك الحياتين، تبعًا لما تفرضه- ليس القناعة والمبدأ- وإنما الغاية والمصلحة والطموحات عمومًا.

- المرأة والحب في «الأحمر والأسود»: إن نموذج حضور المرأة في رواية ستندال هو مرآة لوضعها الحقيقي في المجتمع الفرنسي إبان القرن19 ... تشييء المرأة... عاطفة الحب في «الأحمر والأسود» لم تكن حاضرة بالمعنى الإيجابي، أي في جانبها الصحي(من لدن الطرفين)، فبطل الرواية جوليان استغل حب المرأتين اللتان دخلتا حياته في الريف وباريس من أجل بلوغ مآربه، وتحقيق طموحاته لا أقل ولا أكثر، وهو الأمر الذي لن يثنيه عن إطلاق النار على المرأة الأولى (السيدة رينال) واضعا بذلك حدًا لأحلامه، بل ولحياته.

كما أن حضور الخيانة الزوجية واتخاد العشيق في رواية ستندال وفي المجتمع الفرنسي بصفة خاصة، وباقي المجتمعات الغربية بصفة عامة (تناولها بشكل بارع وعميق كل من فلوبيرفي «مدام بوفاري»، وتولستوي في «أنا كارينينا»)، يكشف عن عمق

الاختلالات الاجتماعية والعلائقية، وغياب كل أثر للعاطفة والشعور الحقيقيين، واعتبار الزواج مؤسسة ومشروعًا للاغتناء، والربح، والارتقاء في سلم المراتب الاجتماعية،مما جعل المجتمع يغض الطرف - وقتئذ- عن هذه الخيانات ويقبلها، بل ويسير بها في اتجاه «الشرعنة»، إن لم يكن قانونيًا، فأقله من باب القواعد الاجتماعية (المعاملات وحضور الحفلات المجتمعية الرسمية وغير الرسمية).

في عام 1850 منعت رواية ستندال في روسيا على يد القيصر نيكولاس الأول.عام 1897 وضع الفاتيكان الرواية ضمن قائمة الكتب الممنوعة لتعريض الكاتب بالدين واتخاذه وسيلة لتحقيق مآربه. عام 1939 منع فرانكو الرواية في أسبانيا.

- الحرف القرمزي، هنري ميلر:

نشرت القصة عام 1934 بفرنسا وظهرت في الولايات المتحدة عام 1961 . كتب ميلر هذه القصة في شكل مذكرات يومية واعتمد فيها على السرد العشوائي. يجسد الكاتب نفسه وجانبًا من حياته البوهيمية والتسكع والتشرد في طرقات باريس.

الرواية مليئة بالشبق وبالكلمات الجنسية المتبجحة لشخص مهووس بالجنس وبترديد مثل هذه الكلمات أثناء مضاجعة النساء،

وحتى أبو نواس يتوارى خجلًا من سماع القطعة التي يخاطب فيها الروائي «تانيا» ويصف مفاتن جسدها ويعدها بالنشوة في أحضانه. في موضع آخر يصيبنا ميلر بالاشمئزاز عندما يصف شخص يلقي خطاب مطول بأنه يشعر أن هذا المتحدث يتبول عليهم.

ولاشك أن هذه العبارات تمثل إشكالية للمترجم فإما أن يخرج النص المترجم مبتسرًا مشوهًا وإما أن يصيب القارئ بالقرف هذا إن خرج بسلام من معركة الرقابة.

في عام 1950 حاول إرنست بيسج جلب روايتي ميلر «مدار السرطان» و«مدار الجدي» من فرنسا إلى الولايات المتحدة. وعندما احتجزت الجمارك الأمريكية شحنة الكتب رفع بيسج قضية على الحكومة لكن القاضي حكم برفض الدعوى عام 1951 ووصم القصتين بأفظع النعوت. حاول السيد بيسج بعد ذلك الإستئناف لكنه لم يفلح للمرة الثانية في الحصول على حكم. وظلت روايتي هنري ميللر ممنوعة لسنين طويلة في بلاده: الولايات المتحدة الأميركية. حوربت الروايتين لأن ميلر يعري بلا حياء ولا شفقة المجتمع المعاصر. في (مدار الجدي) يجعلنا نستمع إلى شهادة إنسانية حارة من ابن المجتمع الأميركي نفسه على

التدمير الفظيع الذي توقعه الرأسمالية الأميركية في الإنسان والحضارة.

عرف هنري الذي ولد في عام 1891 في نيويورك، حقيقة الفقر والجوع وكل أوجه الذل والمهانة، حينما كان يعيش في باريس حياة بوهيمية بمحض اختياره. وهذا الكاتب ذو الروح الحرة الثائرة أمضى طفولته في بروكلين، وحينما سجل لدراسة الثانوية في نيويورك، انسحب بعد شهرين فقط لعدم احتماله الروتين الأكاديمي ليمارس بعدها العديد من المهن من سائق تاكسي إلى أمين مكتبة.

بدأ تجربته مع الكتابة في عام 1920 حينما كان موظفًا في خدمة اتحاد البرق الغربي. وبعد مضي ثمانية أعوام ادخر من المال مع زوجته الأولى ما يكفي لتحقيق حلمه بالسفر إلى أوروبا.

وفي عام 1930 وبسبب خلافه مع زوجته غادر إلى باريس وعاش فيها ليتابع حلمه بالكتابة.

كانت بداية دخوله إلى عالم الأدب مع نشره لروايته الشهيرة «مدار السرطان» 1934، ثم ألحقها بروايته الأخرى «مدار الجدي» 1939، سجل فيهما وقائع حياته ومغامراته وتجاربه في باريس كمغترب، علمًا بأنهما نشرتا أولًا في باريس.

وحينها أخذ الروايتين إلى الولايات المتحدة منعت الرقابة نشرهما لمدة ثلاثين عامًا، كان ذلك لدى عودته إلى وطنه بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية. وهناك قرر أن يجوب بلدان الولايات المتحدة، ونتج عن ذلك كتابة عن أدب الرحلات «كابوس مكيف الهواء».

ومع زيادة شهرة مؤلف المدارات وشعبيته لدى القراء، مرت كتابته بتحول مهم، حيث أصبح يميل بأسلوبه إلى الصياغة الأدبية وبأفكاره نحو النزعة الروحية مع العمق في التحليل.

أمضى ميللر السنوات العشرين الأخيرة من حياته في محيط باليساديس حيث كرس طاقته للرسم بالألوان المائية، وعاش من بيع لوحاته الفنية التي كانت تلقى نجاحًا كبيرًا. وحينها سئل خلال تلك الفترة عن الكتابة قال، إنها لعنة. نعم إنها شعلة تهيمين عليك وتمتلكك. حيث لا تكون سيد نفسك.

إنها أمر مريع لا تستطيع معها الاسترخاء أبدًا. كان الناس يحسدونني على هذا الإلهام وأنا أكرهه فهو يسيطر عليك تمامًا. وأنا كنت أتطلع بفارغ الصبر للخلاص منه لأتحرر. توفي ميللر في 7 حزيران 1980، في بيته وكان معه صديقه بيل بيكريل فقط، وذلك بعد أن مني بخمس زيجات فاشلة.

المراجع

Alderman, Ellen, & Caroline Kennedy. The Right to Privacy. New York: Alfred A. Knopf, 1995.

American Library Association. Newsletter on Intellectual Freedom. Chicago: American Library Association.

American Voices: Prize-Winning Essays on Freedom of Speech, Censorship, and Advertising Bans. New York: P. Morris USA, 1987.

Anderson, A. J. Problems in Intellectual Freedom and Censorship. New York: Bowker, 1974.

Bald, Margaret. Literature Suppressed on Religious Grounds. New York, Facts on File, 1998.

Berger, Melvin. Censorship. New York, Franklin Watts, 1982.

Bradbury, Ray. Fahrenheit 451. New York: Ballantine Books, 1953.

Burress, Lee, and Edward B. Jenkinson. The Students' Right to Know. Urbana, Ill: National Council of Teachers of English, 1979.

Censorship and Education. New York: H.W. Wilson, 1981.

Censorship: opposing viewpoints. San Diego, CA: Greenhaven Press, 1990.

Cline, Victor B. Where Do You Draw the Line? an Exploration into Media Violence, Pornography, and Censorship. Provo: BYU Press, 1974.

Davis, James E. Dealing With Censorship. Urbana, Ill: National Council of Teachers of English, 1979.

DelFattore, Joan. What Johnny Shouldn't Read: Textbook Censorship in America. New Haven: Yale University Press, 1992.

Demac, Donna A. Liberty Denied: the Current Rise of Censorship in America. New Brunswick: Rutgers University Press, 1988.

First Amendment: Selections from the Encyclopedia of the American Constitution. New York: Macmillan, 1990

Free to Believe. Princeton, NJ: Films for the Humanities, 1987.

Goldwin, Robert A., and Art Kaufman, eds. How Does the Constitution Protect Religious Freedom? Washington D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1987.

Haight, Anne Lyon. Banned Books, 387 B.C. to 1978 A.D. New York: Bowker, 1978.

Haiman, Franklyn Saul. Speech and Law in a Free Society. Chicago: University of Chicago Press, 1981.

Hurwitz, Leon. Historical Dictionary of Censorship in the United States. Westport, CT: Greenwood Press, 1985.

Intellectual Freedom Manual. Chicago: American Library Association, 1992.

Karolides, Nicholas J. Literature Suppressed on Political Grounds. New York, Facts on File, 1998.

Levy, Leonard W. The Establishment Clause: Religion and the First Amendment. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1994.

McClellan, Grant S. Censorship in the United States. New York: H.W. Wilson, 1967.

Medvedev, Zhores A. Ten Years After Ivan Denisovich. New York: Knopf, 1973.

Moon, Eric. Book Selection and Censorship in the Sixties. New York: Bowker, 1969.

O'Neill, Robert M. Free Speech in the College Community. Bloomington, IN: Indiana University Press, 1997.

Orwell, George. 1984. New York: New American Library, 1961.

Patterson, Annabel M. Censorship and Interpretation: the Conditions of Writing and Reading in Early Modern England. Madison: University of Wisconsin Press, 1984.

Pally, Marcia. Sex and Sensibility: Reflections on Forbidden Mirrors and the Will to Censor. Hopewell, NJ: The Ecco Press, 1994.

Reichman, Henry. Censorship and Selection: Issues and Answers for Schools. Arlington, VA: American Association of School Administrators, 1988.

Sova, Dawn B. Literature Suppressed on Sexual Grounds. New York, Facts on File, 1998.

Sova, Dawn B. Literature Suppressed on Social Grounds. New York, Facts on File, 1998

فهرس





روايات محظورة

Banned Novels

د/ محمد عزب

أستاذ الأدب الانجليزى بجامعة الملك سعود



الدار العالمية للنشر والتوزيع

31 ش الصالحى - محطة مصر - الإسكندرية

تليفون: 002034970370 فاكس: 002033907305

محمول: 0106552118

E-mail:alamia_misr@hotmail.com